الفصل السابع

مستقبل النظام العالمي الجديد بين حقيقة العولمة والهيمنة الميغا إمبريالية المهدي محمد المنجرة أنموذجًا للحضارة العربية

- تمهيد
- حياة المهدي المنجرة وظروف عصره
- مؤلفاته
- ما معنى: المنجرة فيلسوف المغرب العربي الحر؟
- ما المقصود بالدراسات المستقبلية، وما الوضع العام بين المنجرة وصمويل هينتنغتون؟
- أبرز القضايا المستقبلية في فكر المنجرة؟
- ما سبل الخروج من أزمة العالم العربي والإسلامي الراهنة؟

تمهيد

لم يأخذ فكر البروفسيور المهدي محمد المنجرة، عالم المسقبليات المغربي العربي والعالمي الحر، حقه من البحث والدراسة مثل غيره من المفكرين العرب المعاصرين، وذلك لأسباب عديدة سوف نعرض لها في ثنايا البحث.

لذا فرضت علينا الحاجة المُلِّحة ضرورة البحث في فكر المنجرة، لا سيَّما بعد أن أصبحنا أمام عَالَمٍ أضحى يتخبط في دوامة من المشكلات: المحلية، والإقليمية، والدولية، والعالمية التي لا حصر لها، وكان المنجرة قد أنذر بوقوعها من قبل وبخاصة تلك القضايا والمشكلات المتعلقة بعالمنا العربي، في الوقت الذي صمَّ العالم العربي آذانه عن سماع كلماته، وأعمى بصره عن رؤيته المستقبلية الاستشرافية الثاقبة، ولم يلتفت لما يقوله، وهذا ليس بغريب على رجل كعالِمنا الفذِّ الذي حاله لا يختلف كثيرًا عن حال فئة ليست بالقليلة من العظماء الذين ما تنبس شفاههم ببنت كلمة تعبر عن التفكير الإبداعي -التفكير خارج الصندوق- لمشكلات المجتمع وقضاياه إلا وتجد ألسنة الاتهام، والسب، والقذف تنهال عليهم من كل صوب وحدب، وما إن يطوي الزمان صفحاته، وتسير عجلات تطوره، وتمر السنون تلو السنون إلا وتتضح الرؤى وتتكشف؛ فيتذكر الناس أولئك المفكرين والعباقرة وما فعلوه بحقهم، فما يلبثوا إلا أن يلهثوا وراء عقولهم لكي يقتبسوا من نور فكرهم وإضاءاتهم المشرقة، ولكن في وقت متأخر لا ينفع معه البكاء على اللبن المسكوب!

يظهر ذلك واضحًا بشكل أكثر حين بدأنا -نحن العرب- نعيش تلك المشكلات بعقولنا وقلوبنا معًا؛ لأنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتنا، حقًا إنها مشكلات جمة: دينية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية...الخ، عالمية، ودولية، ومحلية، تلك المشكلات التي ما برحت تُقِّضُ مضاجع عالمنا، وتُنغِّص علينا حياتنا، وتجعلها رنقًا بعد أن كانت صافية عذبة على عهد أسلافنا الأول.

جراء ما ذكرنا آنفًا من أسباب كان لزامًا علينا أن نُحلِّق في سماء علم من أعلام الفكر

العربي المغربي المعاصر ألا وهو البروفيسور المهدي المنجرة؛ لنستعيد منه بعضًا مما قال آخذين منه العظة والعبرة، ولنستيقظ من غفلتنا لعلنا ننهض من كبوتنا، ونشرع في أن نعيد لأمتنا عزها ومجدها، وتصبح لنا السيادة كما كانت لحضارتنا الإسلامية الغراء، حتى نستطيع مسايرة الحياة المعاصرة، ونضع الموازين في نصابها الطبيعي، خاصة أننا ظللنا -ولا زلنا- ردحًا من الدهر واضعين الحصان خلف العربة!

وإن كنت أؤمن حق الإيمان بأن فكر المفكر أو الفيلسوف إما أن يؤخذ كله أو أن يُترك كله دون تجزئة تكون سببًا في الجور على جزء من فلسفته على حساب الأجزاء الأخرى. كأن نقول: الدكتور المهدي المنجرة مفكرًا ثوريًا، أو نهضويًا، أو واقعيًا، أو مثاليًا، أو عالم المستقبليات، أو... فحسب فإن في هذا ظلم للشخصية؛ لأن من يفعل ذلك يَعرض جزءًا من الحقيقة -أي جزءًا من فلسفة الفيلسوف- ولا يعرض لها كلها.

وإن كان ثمة صعوبة في عرض فلسفة مفكر بحجم «المنجرة» في بحث علمي أكاديمي كهذا، إلا أنه بإمكاننا تجاوز هذه الصعوبة كما سيأتي؛ لأن مفكرنا صاحب فلسفة كلية وشمولية، يُكمِّل بعضها بعضًا، خاصة أن قضاياها متشابكة ومتداخلة، وعلى هذا يمكننا أن نبدأ بمشكلة الدراسة على النحو التالي:

أولًا
حياة المهدي المنجرة وعصره

لم تكن حياة البروفيسور المهدي المنجرة كحياة أحد من أقرانه؛ لأنه مفكر عربي أصيل حر عاش ظروف عصره، ولم ينسلخ من ماضيه، وزاد على ذلك بأن استشرف مصير عالمه ومستقبله، إنه فيلسوف الماضي، والحاضر، والمستقبل. على هذا الأساس كانت حياته جزءًا من فلسفته وفلسفته جزءًا من حياته.

ولد المهدي محمد المنجرة في يوم ١٣ مارس ١٩٣٣ بالرباط، وتابع دراسته بالولايات المتحدة ثم التحق بجامعة كورنيل بنيويورك بين ١٩٥٠ و١٩٥٤ حيث حصل على الإجازة في العلوم السياسية، وانتقل إلى مدرسة لندن للاقتصاديات والعلوم السياسية التابعة لجامعة لندن بين ١٩٥٤ و١٩٥٧، ومنها حصل على الدكتوراه في العلوم الاقتصادية والعلاقات الدولية قبل أن يلتحق بجامعة محمد الخامس كأول أستاذ محاضر مغربي بكلية الحقوق[١].

شغل المهدي المنجرة بعد ذلك عدة مناصب علمية دولية، منها: مستشار أول في الوفد الدائم للمغرب بهيئة الأمم المتحدة خلال الفترة (١٩٥٨-١٩٥٩)، وأستاذ محاضر وباحث بمركز الدراسات التابع لجامعة لندن (١٩٧٠)، وشغل باليونسكو مناصب قيادية عديدة (١٩٦١-١٩٧٩)، وشغل إلى جانب ذلك منصب منسق لمؤتمر التعاون التقني بين الدول الأفريقية (١٩٧٩-١٩٨٠)، وخبير خاص للأمم المتحدة للسنة الدولية للمعاقين (١٩٨٠-١٩٨١)، ومستشار مدير مكتب العلاقات بين الحكومات للمعلومات بروما (١٩٨١-١٩٨٥)، ومستشار الأمين العام للأمم المتحدة لمحاربة استهلاك المخدرات[٢].

وترأس المفكر الراحل الفيدرالية العالمية للدراسات المستقبلية (١٩٧٦-١٩٨١)

---

(١) مراجعة لكتاب: عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري، المهدي المنجرة، منشورات الزمن- الرباط، الطبعة: الثانية، ٢٠١١. *https://archive.org/details/awlamat_al-awlama*.

(٢) المرجع نفسه.

ثم شغل عضوية لجنتها التنفيذية، وترأس الجمعية الدولية للمستقبليات (فوتوريبل)، وشغل عضوية الجمعية المغربية للمستقبليات، والمجلس التنفيذي للجمعية العالمية للتنمية (١٩٨٥-١٩٨٨)، وأكاديمية المملكة المغربية، والأكاديمية العالمية للفنون والعلوم، والأكاديمية الأفريقية للعلوم، والأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون والآداب، والجمعية العالمية للمستقبل، والاتحاد العالمي للمهندسين المعماريين، ومنتدى العالم الثالث، ونائب رئيس جمعية الصداقة بين المغرب واليابان[١].

حاز المفكر الراحل عددا من الجوائز والأوسمة، منها: جائزة الأدب الفرنسي في جامعة كورنيل (١٩٥٣)، ووسام الاستقلال بالأردن (١٩٦٠)، ووسام ضابط للفنون والآداب بفرنسا (١٩٧٦)، والجائزة الفضية الكبرى للأكاديمية المعمارية بباريس (١٩٨٤)، ووسام الشمس المشرقة باليابان (١٩٨٦)، وجائزة السلام لسنة ١٩٩٠ من معهد ألبرت آينشتاين الدولي، وجائزة الفيدرالية الدولية للدراسات المستقبلية عام١٩٩١ [٢].

كان من أعماله الخيرية والعلمية أن أطلق المهدي المنجرة عام ١٩٩١ جائزة «التواصل الثقافي بين الشمال والجنوب»، وهي تموَّل من ريع كتبه، ومُنحت لعدد من المثقفين كوزير العدل الأميركي السابق رامسي كلارك والمسرحي المغربي الطيب الصديقي، كما مُنحت عام ٢٠٠١ للطفل الفلسطيني الشهيد محمد جمال الدرة، ومصوره طلال أبو رحمة[٣].

أما عن وفاته:

فقد توفي المهدي المنجرة «رحمه الله» يوم الجمعة ١٣ يونيو/ حزيران ٢٠١٤ ببيته في الرباط بعد معاناة طويلة مع المرض[٤].

(١) المرجع نفسه.

(٢) مراجعة لكتاب: عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري.

(٣) المهدي المنجرة مغرب المستقبليات المستقبل الحرب الحضارية، عن موقع الجزيرة، مارس ٢٠١٩، تم الدخول: ٢٤/ ٤/ ٢٠١٩. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons.

(٤) المرجع نفسه.

ثانيًا
مؤلفاته

ألف المنجرة العديد من الكتب والأبحاث، ومئات المقالات والدراسات في العلوم الاقتصادية والسوسيولوجيا، ومختلف قضايا التنمية باللغات: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، واليابانية، وقد ترجمت لعشرات اللغات العالمية ومن أهم مؤلفاته:

«نظام الأمم المتحدة» (١٩٧٣)، و«الحرب الحضارية الأولى» (١٩٩١) و«حوار التواصل» (١٩٩٦)، و«عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري» (١٩٩٩)، و«انتفاضات في زمن الذُلقراطية» (٢٠٠٢) و«من المهد إلى اللحد» (٢٠٠٣)، و«الإهانة في عهد الميغا إمبريالية» (٢٠٠٤)، وآخرها كتاب «قيمة القيم» (٢٠٠٧)[١].

(١) عن موقع أرشيف تم الدخول: ١/ ٣/ ٢٠١٩ *https://archive.org/details/awlamat_al-awlama*.

ثالثًا

المنجرة فيلسوف المغرب العربي الحر

يُعدُّ عالم المستقبليات المغربي البروفيسور د. المهدي المنجرة مفكرًا موسوعيًا؛ لما يطرحه من أفكار ووجهات نظر حول مختلف قضايا العالم: السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والعلمية، والتربوية. ولعل مَرَدَّ ذلك إلى سببين[١]:

يرجع أولهما، إلى أنَّ المنجرة يملك نظرة شموليّة عن العالم، والتاريخ، والإنسان، والهويّة، حيث ينبغي للباحث ألا يفصل بين قضية وأخرى، أو أن ينصب الحواجز النظريّة والإجرائيّة بين أبعاد الموضوع ومستوياته. باختصار، إنه يرفض الرؤية التجزيئيّة للأشياء والوجود والمجتمع، وذلك كي لا يؤول الأمر بالباحث إلى إغفال الترابط القائم بين مكّنات الحياة، مما سوف يوقع رؤيته في الإسقاط، والانتقاء، والابتسار.

أما السبب الثاني، فيتعلّق بالمرجعيّة التي يبني عليها المنجرة تفسيراته، وتقديراته، وتوقّعاته، وهي كذلك مرجعية شمولية تستثمر مختلف ما أنجزه الفكر العالمي وحقّقه من مكاسب، سواء في الغرب أو في الشرق، في الماضي أو في الحاضر، ممّا يكسبها بعدًا إنسانيًا قلّما نعثر عليه عند غيره من المفكّرين والمحلّلين والمستقبليّين.

لقد شهد بمكانته عدد لا بأس به من المفكرين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ما قاله عنه «حسن أوريد» المفكر السياسي والكاتب مغربي: «إن تقييم أو تقدير الحاضر أو المؤسسات الرسمية ليس مهمًا، المهم هو تقييم أو تقدير المجتمع والمكانة التي يمكن أن يحظى بها الشخص في التاريخ، وأعتقد أن للمهدي المنجرة مكانة في تاريخ المغرب وتاريخ

(١) التيجاني بولعوالي: أوهام العولمة وحاجة العرب إلى سيناريو التغيير الجذري، مراجعة لكتاب عالم المستقبليات د. المهدي المنجرة «عولمة العولمة من أجل التنوع الحضاري»، عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، بتاريخ: ٢٨ يونيو ٢٠١٤، تم الدخول: ٢٠/ ٣٠/ ٢٠١٩. *https://www.mominoun.com/articles/287*.

الإنسانية». كما قال عنه أيضًا «هو من إحدى المنارات المهمة المضيئة والمشعة من المثقفين الذين كانوا واعين مثلًا بمخلَّفات الاستعمار، وكان منخرطًا في الصراع من أجل الاستقلال، سقراط لم يأخذ حقه لما كان في حكم أثينا ولكن أخذ حقه في تاريخ الإنسانية»[١].

كما قال عنه «عبد الحق المريني» مؤرخ المملكة المغربية: «ترك الدكتور المهدي المنجرة فراغًا في الساحة الثقافية المغربية، ترك الدكتور المهدي المنجرة، باعتباره عالمًا موسوعيًا ومفكرًا كبيرًا، صوتًا يرن في الجامعات الآسيوية، والأوروبية، والأفريقية، والمغاربية»[٢].

أشار الباحث الأستاذ «مصطفى محسن» في هذا السياق: «لقد كان المهدي المنجرة مثقفًا مستقلًا، يستعصِي حصرهُ في أيِّ زاوية، وحريصًا كبيرَ الحِرص على مجابهة الغوغائيَّة، والانتهازيَّة وتحنيط الأفكار، وذلك تحديدًا ما جرَّ عليه نقدًا عنيفًا»[٣].

وبحسب تعبير الأستاذ «اليحياوي»: «كان المنجرة موقنًا أنَّ التطرق إلى أمرٍ من الأمور لا يمكنُ أنْ يتحقق دُون ربطه بباقي العناصر الأخرى»[٤].

أما «محمد بريش» خبير في الدراسات المستقبلية فقد اعتبر أن الدكتور المنجرة «علم بذاته، وعالم فريد من نوعه، يؤمن بأفكاره إيمانًا قويًا، ويدافع من أجلها دفاعًا مستميتًا، أفكار نيرة شديدة الارتباط بالقيم، القيم المثلى للإنسانية، وعلى رأسها العدل، والحرية، والكرامة». وتابع «فمنذ صباه وهو يقاوم الاستبداد، والظلم الاجتماعي، وأشكال الهيمنة بأنواعها كافة، وكل من لازمه أحسّ أنه يتعامل مع شخصية علمية بارزة في تألق علمها ورقي مستوى فكرها، شخصية إنسانية تتميز بصفات نظرتها وصدق إنسانيتها، مناضل لا يتردد في الجهر بالتنديد الفوري لما يلمسه أو يراه من ظلم، وجهل، وفساد»[٥].

لذلك يتحتَّم على القارئ أن يتحلَّى ولو بجانب من المعرفة العامة، بشتَّى القضايا التي

(١) المهدي المنجرة رجل سابق لزمانه، مجلة حزب العدالة والتنمية الإلكترونية، ٢٢ مارس ٢٠١٨، تم الدخول: ٢٠/ ٤/ ٢٠١٩. https://www.pjd.ma/.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) محمد محمد الخطابي: المَهْدِي المَنْجَرَة..كَانَ مُحِبًّا فَأَحَبَّهُ النَّاس، مجلة هسبريس المغربية الإلكترونية، ٢٧ يونيو ٢٠١٥، تم الدخول: ٢١/ ٤/ ٢٠١٩. https://www.hespress.com/writers/268363.html

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المهدي المنجرة رجل سابق لزمانه: مرجع سابق.

تشكِّل المادَّة الأوليَّة لفكر المنجرة، أتاريخيَّة كانت أم واقعيَّة، سياسيَّة أم اقتصاديَّة، ثقافيَّة أم تكنولوجيَّة، حتّى يتسنَّى له استيعاب الرؤية الاستشرافيَّة التي تكمن في كتابات المنجرة وتحليلاته، وهي رؤية موحِّدة في العمق، لكنها متعدِّدة الصيغ، والزوايا، والاتجاهات على صعيد التناول والتحليل[١].

(١) التيجاني بولعوالي: مرجع سابق.

رابعًا
ما الدراسات المستقبلية؟ وما الوضع العام بين المنجرة وصمويل هينتنغتون؟

أ- ما الدراسات المستقبلية:

قبل الخوض في قضايا الدراسات المستقبلية فإنه حري بنا أن نعرف بداية ما المقصود بها؟

يصعب وضع تعريف جامع مانع لبعض المفاهيم في الدراسات الإنسانية بحيث يحتويه من الجوانب كلها؛ إذ تتعدد التعريفات وفق تعدد المفكرين والباحثين الذين يختلفون بدورهم على حسب المدارس التي ينتمون إليها، وكذلك هي الحال مع الدراسات المستقبلية، فضلًا عن أنها تعد من العلوم الحديثة على مستوى الغرب الذي سبقنا بها أشواطًا كثيرة، وما زالت في حالة من تَقَبُّل الإثراء، كما فرض التطور التاريخي لهذه الدراسات على خبرائها المسايرة للمنظومة الاصطلاحية لكل مدة تاريخية مرت بها البشرية، وبالتالي تتعدد التسميات التي تطلق على هذه الدراسات[١].

رغم هذا إلا أن ثمة تعريفات متعددة للدراسات المستقبلية والتي منها على سبيل المثال لا الحصر تعريف إدوارد كورنيش[٢] لها بأنها: «العلم الذي يرصد التغير في ظاهرة

(١) مهند حميد وفكرت نامق عبد الفتاح: الدراسات المستقبلية بين العلمية والنمطية، جامعة النهرين، العراق، تم الدخول: ٧/ ٤/ ٢٠١٩.
https://www.google.com/search?ei=q1GpXMS0KdLggwf6s7bIDw&q

(٢) إدوارد كورنيش: أمريكي من مؤسسي جمعية المستقبل العالمية، والمحرر السابق لمجلتها الشهيرة «المستقبلي»، وقد خدم كمستشار لثلاثة رؤساء في الولايات المتحدة الأمريكية.
انظر: إدوارد كورنيش: الاستشراف مناهج استكشاف المستقبل، ترجمة: حسن الشريف، بيروت-لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

معينة ويسعى لتحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل، وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال على غيره». وهو تعريف يبدو أنه ضيق لأنه يقرن الدراسات المستقبلية بالعلم وانتقاء احتمال أرجح من بين جملة من الاحتمالات[١].

بالإضافة إلى من يعرفها بأنها: «مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية، والعمل على إيجاد حلول عملية لها، كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث في المستقبل». وثمة من يعرفها بأنها: «التنبؤ المشروط من منظور احتمالي وعلمي نسبي». كما أنها عبارة عن: «تخصص علمي يهتم بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات في مختلف مجالات السلوك الإنساني، مثل الأعمال التجارية والحكومية والتعليمية، والغرض من هذا التخصص مساعدة متخذي القرارات أن يختاروا بحكمة من بين المناهج البديلة المتاحة للفعل في زمن معين»[٢].

لعل أدق تعريف للمستقبلية هو ما تناولته مجلة «*World Future Society*» القائل إن المستقبلية هي: «دراسات تستهدف تحديد، وتحليل، وتقويم كل التطورات المستقبلية في حياة البشر في العالم أجمع بطريقة عقلانية موضوعية... وإن كانت تفسح مجالًا للخلق والإبداع الإنساني وللتجارب العلمية ما دامت هذه الأنشطة تساهم في تحقيق هذه الأهداف»[٣].

---

(١) رابح عبد الناصر جندلي: الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي, مفاهيمي ومنهجي، العدد الأول لسنة «٢٠١٧» من مجلة العلوم السياسية والقانون، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية الاقتصادية، والسياسية، ٢١ فبراير ٢٠١٧، تم الدخول: ٥/ ٤/ ٢٠١٩. *https://democraticac.de/?p=43833*
نقلًا عن: *Edward Cornish: the Study of the Future, World future Society, Washington, 1977, PP.83-92.*

(٢) رابح عبد الناصر جندلي: مرجع سابق.
للاستزادة انظر:
- الجهني محمد فالح: الدراسات المستقبلية: شغف العلم وإشكالات المنهج، مجلة كلية التربية، السعودية، جامعة طيبة، عدد ١٧٥. *http://www.almareth.org/news.php?action=show&id=4309*
- «المستقبل والاقتصاد في الدراسات المستقبلية»، على الموقع التالي:
www.http://ust.edu/open/library/mang/19/19.pdf
- سعيد حبيب سامي: دور الدراسات الاستشرافية في صناعة المستقبل، ١١/ ٠١/ ٢٠١٤.
www.http://al.madina.com/node/504205?risala

(٣) رابح عبد الناصر جندلي: مرجع سابق.

فضلًا عن ذلك، فإن الدراسات المستقبلية تخضع للقضايا السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية مما يترتب عنه اختلافات مفاهيمية كالتخطيط بشتى أنواعه: (قصير الأجل- متوسط الأجل- طويل الأجل)، والتنبؤات، والإسقاطات، والاستشراف. فبالنسبة للاستشراف *Prospectively*؛ فهو عبارة عن عملية علمية منظمة لمجموعة من التنبؤات المشروطة، التي تتضمن المعالم الرئيسية لمجتمع معين أو مجموعة من المجتمعات لحقبة زمنية لا تتجاوز عشرين سنة. والاستشراف هو عملية بعيدة عن أمور التكهن والاعتبارات الشخصية، ويخضع للأساليب العلمية، التي تحلل الماضي وتفسر الحاضر، ويدرس العلاقة السببية بين العوامل والمتغيرات المؤثرة. ما يعني أن الاستشراف يستند إلى قاعدة صلبة من البيانات العلمية والمعلومات الدقيقة كميًا ونوعيًا بشأن الظاهرة الآنية حاضرًا وأصولها التاريخية ماضيًا، باعتبارها جزءًا مهما في التنبؤ بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في المستقبل. كما تضبط قائمة بالأولويات والأهداف الاجتماعية للمجتمع مستقبلًا، والتي من خلالها يستشرف أحداث المستقبل، مستهدفًا مدى احتمال وقوعها[١].

ب- موقف المنجرة من الدراسات المستقبلية:

أما بالنسبة للمهدي المنجرة فيقرُّ: «أن الدراسة العلمية للمستقبل تسلك دوما سبيلًا مفتوحًا يعتمد التفكير فيه على دراسة خيارات وبدائل، كما أنها شاملة ومنهجها متعدد التخصصات»[٢].

فإذا كان الباحثون قد اختلفوا حول موقفهم من فلسفة الدراسات المستقبلية إلى فريقين: أحدهما، يرى أن البحث في عالم المستقبليات هراء، أو لا يعدو عن كونه عملًا عبثيًا، أو ضربًا من الرجم بالغيب الذي لا علاقة له بالواقع، بل إنه محض تسلية لا طائل من ورائه.

إلا أن أصحاب الرأي الآخر، المقابل لهذا الرأي يرون -ومنهم وليد عبد الحي- إنّ «إحدى ثغرات ثقافتنا العربية تتجسد في أحد أبعادها في موقفها من الزمن، إذ طغى عليها الماضي والحاضر، بينما لم يحظ المستقبل «حيث سنعيش» إلا بأقل القليل، على الرغم من أن معرفة أو محاولة معرفة المستقبل تمثل أحد عناصر القوة»[٣].

(١) رابح عبد الناصر جندلي: مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه

(٣) وليد عبد الحي: الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، مراكش: دار تينمل، ١٩٩٣، ص٥.

إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن رؤية المنجرة من بين هذين الرأيين -التي جاءت رؤية الأستاذ الدكتور مصطفى النشار منسجمة معها إلى حد كبير- تكون أكثر اتفاقًا مع أصحاب الرأي الأخير لما لها من دلالة إيديولوجية ناصعة؛ لأنها لا تتسم بطابع التكهن والخرافة، وإنما بُنيت على أسس منطقية بدأت بمقدمات وانتهت بنتائج تلزم عنها بالضرورة. وكيف أن كل هذا لا يمكنه أن يحيد أو أن يتعارض مع المشيئة الإلهية المنظمة للكون وما يحدث فيه. ولم لا والدكتور «المنجرة» يعد واحدًا من أكثر الفلاسفة المؤمنين المتمسكين بإسلامهم وهذه السمة كثيرًا ما نجدها في أغلب كتاباته[١].

من هذا المنطلق لم يكن اهتمام المفكر العظيم «المهدي المنجرة» بالدراسات المستقبلية قفزة عبثية في عالم الخيال المفارق للواقع المعيش، وإنما جاءت كحلقة ضمن نسق فلسفي متكامل، يتميز بالانتظام، والمنطقية، والشمولية، ولا أدل على ذلك من مدى تحقق دراساته تباعًا على أرض الواقع.

لقد بدأ المنجرة نظرته للواقع العالمي بدءًا من كتابه «نظام الأمم المتحدة» وكتاب «عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري» مرورًا بـ«انتفاضات في زمن الذُلقراطية»، ثم إلى «من المهد إلى اللحد»، ومن بعده تعرض للحديث عن مستقبل العالم كما جاء في كتابه «الإهانة في عهد الميغا إمبريالية» الذي يُعد ذروة سنام العالم الراهن، وانتهاءً بكتابه القيِّم «قيمة القيم».

في هذا الشأن يقول المنجرة: «إن الدراسات المستقبلية آتت أكلها في بعض المجالات؛ كالمجال العسكري، عند الدول العظمى، ونشاط الشركات المتعددة الجنسية دون أن تفشي أمرها. ويقل النجاح عندما يتعلق الأمر بأهداف تامة الضبط، موحدة الملامح، مع نظام لسلالم القرارات قوي الهيكلة، بالإضافة إلى وفرة هائلة في الوسائل وتقليص بالغ للمراقبة السياسية»[٢].

(١) انظر بحثنا: جميل أبو العباس زكير: «ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري» للدكتور مصطفى النشار دراسة تحليلية، بحث في كتاب: من النقد الفلسفي إلى فلسفة النقد قراءة في مؤلفات مصطفى النشار الفلسفية، إعداد مجموعة مؤلفين، تصدير: حسن حنفي، تقديم وإشراف: عصمت نصار، إعداد وتحرير، محمد ممدوح، القاهرة، دار ابن النديم، ٢٠١٦، ص١٤٤، ١٤٥.

(٢) المهدي المنجرة: من أجل استعمال ملائم للدراسات المستقبلية، مجلة عالم الفكر: الدراسات المستقبلية، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، يناير فبراير مارس ١٩٨٨، ص٩٥٨.

يؤكد النعيمي أن المنجرة قصد بذلك أن أغلب دول العالم المتقدمة، وخاصة الشركات العالمية (أي الشركات متعددة الجنسيات) قد حققت نجاحًا باهرًا في المجالات المدنية، والعسكرية على حد سواء، وخاصة مع تعدد طرق التحليل الكمي وأساليبها كما هو الحال في علم بحوث العمليات، والذي أثبت فعاليته في أداء إدارة المنشآت الاقتصادية والعسكرية، وترشيد السياسات المستقبلية. وقد تتوج هذا النجاح بما وصل إليه التقدم العلمي في ثورة المعلومات، وباستخدام الأجيال المتقدمة للحاسبات الإلكترونية. بالإضافة إلى ما وفرته وسائل الاتصال ونقل المعلومات، الأمر الذي ساعد على تبادل كم هائل من البيانات والمعطيات المتوفرة، كما ساعد ذلك أيضًا على توفير السياسات الحكيمة والرشيدة في صنع القرار[١].

لكن ما الثمار التي جناها أصحاب هذه الدول المتقدمة جراء هذه الدراسات المستقبلية؟ ومن ثَمَّ ما موقفنا نحن كعرب ومسلمين من هذه الدراسات؟

جاءت إجابة المنجرة عن السؤال الأول معبرًا عنها من خلال تأكيده أن الدراسات المستقبلية بالنسبة للدول العظمى -على حد وصفه- ساعدت في تحقيق وصولها إلى النتائج المرجوة منها، عن طريق إثبات أهمية الدراسات المستقبلية، وفائدتها، وصلاحيتها من خلال إصلاح المؤسسات الاقتصادية على وجه العموم في تحديث بياناتها المنطقية، وتأكيد أولوية مشاركة السكان، وتوريط مسؤولية الدوائر السياسية، وبإصلاح المؤسسات، وأخيرًا بتطوير البنيات العقلية مع الأخذ بعين الاعتبار الاحترام التام لنظم القيم القائمة، وتأمين الحرية في اختيار الأشخاص المعنيين[٢].

ج- رؤيته لمستقبل العالم الإسلامي:

أما إجابته عن السؤال الثاني -التي هي موضع اهتمامنا- فكانت على النحو التالي: ذلك نموذج ما زلنا بعيدين عنه، وهذا ما يدفعنا للتساؤل ما الفائدة من اهتمامنا بالدراسات المستقبلية إذًا؟ أو ما جدوى دراستنا لها؟

---

(١) قاسم محمد النعيمي: المستقبل والاقتصاد في الدراسات المستقبلية، مجلة كلية التجارة والاقتصاد، جامعة صنعاء، العددان الخامس عشر والسادس عشر، ٢٠١٢. تم الدخول: ٢١/ ٤/ ٢٠١٩. *http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=566*

(٢) المهدي المنجرة: من أجل استعمال ملائم للدراسات المستقبلية، ص٩٥٨.

يُعدِّد المنجرة أسباب اهتمامنا -نحن كعرب ومسلمين- بالدراسات المستقبلية بمنتهى الجرأة، والشجاعة، والشفافية في العناصر التالية[١]:

١- كثيرًا ما نلجأ للدراسات المستقبلية لكون أزمات معينة ترغمنا على ذلك، ويتعلق الأمر ذاك بـ«مستقبلية تفاعلية» تقاوم الحاضر بتبرير الماضي عوضًا عن ابتكار المستقبل.

بمعنى أننا لا نسعى إلى فهم الدراسات المستقبلية والأخذ بها إلا عندما نتعرض لمأزق ما، أي نسعى إلى ذلك عندما تجبرنا الأزمات على إيجاد الحلول وغالبًا ما تأتي الحلول لتبرر الماضي عوضًا عن ابتكار المستقبل (أي مستقبلية وقتية)[٢].

٢- تَطَلُّبُ النجدة كذلك من الدراسات المستقبلية حينما يصبح الواقع مريرًا لا يطاق، لتبرير الهروب إلى الأمام إخلاءً للحاضر. تلك مستقبلية «تخديرية» قريبة من الديماغوجية في بعض الأحيان.

أي أننا نستنجد بالدراسات المستقبلية عندما يصعب علينا أن نحيا الواقع، وذلك من أجل العيش على الأمل والهروب من الحاضر.

٣- تستعمل الدراسات المستقبلية أيضًا للتأثير على الحركات الفكرية، وذلك بحصر الأولوية لفائدة التصورات المستقبلية دون أخذ رأي المعنيين بالأمر، في هذه الحالة نكون أمام «مستقبلية الانتهاز» على المستوى الوطني، أو «مستقبلية الاحتكار» على المستوى الدولي.

لم يكتفِ المنجرة بهذا، بل وصف المختصين أو الباحثين في الدراسات المستقبلية بأنهم لا يتوافقون دائمًا في استعمال خطاب في متناول الفهم، إذ غالبًا ما يتسترون وراء منهجيات تفضي صعوبة تقنياتها إلى حجب الغايات في نهاية المطاف، كما أنهم باستخدامهم مفاهيم مغلقة وعبارات غريبة يُنَفِّرون المنقبين عن المستقبليات[٣].

كما يؤكد المنجرة في إجابته عن سؤال: هل العقل العربي ماضوي لا يملك رؤية للمستقبل؟

(١) المرجع نفسه.

(٢) قاسم محمد النعيمي: مرجع سابق.

(٣) المهدي المنجرة: من أجل استعمال ملائم للدراسات المستقبلية، ص٩٥٩.

يذهب المنجرة إلى أنه لا تستطيع أن تجد توصيفًا دقيقًا للعقل العربي؛ فهو عقل مشتت، هو خليط بين العقول، لذا لا نجد ما يمكن أن نسميه دراسات المستقبل، لقد كانت هناك إرهاصات مثل: الدراسات التي قام بها مركز دراسات الوحدة العربية... لكن مشكلة الدراسات المستقبلية هي أن النخبة الحاكمة لا تنظر بثقة إلى الخبرات والكفاءات المحلية، وأكاد أجزم أن لا أحد من الحكام وفَّرَ وقتًا للاطلاع على الدراسات المستقبلية التي تم إعدادها عن طريق مركز دراسات الوحدة أو منتدى العالم الثالث؛ فالعرب لا يهتمون إلا بالدراسات التي تأتي من إنجلترا وأمريكا وفرنسا... من خلال الاعتماد على ما نسميه «الاستعمار الحضاري أو الثقافي» من خلال عشرات المفكرين داخل وطننا العربي في الجامعة، والوزارة، والسينما، والإعلام... إن الاستعمار مازال موجودًا داخل العقول، وهذا هو الأخطر»[١].

لقد أضافت بحوث مهدي المنجرة خطوةً علميةً مهمّةً في اتجاه أبحاث «المستقبلات»، ولا سيَّما مؤلَّفه «الحرب الحضارية الأولى»، الذي كتبه من وحي حرب الخليج عام ١٩٩١، وتعرف فيه صورةَ التخلف العربي، ليستشرف المستقبليات العربية[٢].

بيد أن الوضع العربي يعاني من عدة اختلالات سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وأخلاقية نتجت عن تراكم الأخطاء والانهزامات والتراجعات، مما أطلق مسلسل إحباطات ما فتئت تتفاقم، ما جعل الدكتور المنجرة يطرح موقفه الصارم والنقدي لمختلف هذه الاختلالات التي وقع فيها العالم العربي (حرب الخليج الأولى والثانية، دور المثقف، أزمة التعليم، قضية فلسطين، الأزمة الجزائرية، حوار الشمال والجنوب،...)، محللًا المواقف، ومعينًا بجرأة أسباب الأزمة والمسئولين عنها، راسمًا سيناريوهات المستقبل في الوطن العربي[٣].

(١) مهدي المنجرة: عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري، الطبعة الثانية، المغرب، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠١١، ص١٠١.

(٢) شمس الدين الكيلاني: مشروع استشراف «مستقبل الأمة العربية» بين استشراف المستقبل والتطلّع الأيديولوجي، بحث في مجلة: عزمي بشارة (المحرر): استشراف للدراسات المستقبلية، قطر، الدوحة، ٢٠١٦، ص١٩٧.

(٣) مهدي المنجرة: عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري، ص٦٣.

يُشَخِّص المنجرة أزمة الوضع العربي الراهن بقوله: «إن صورة الأوضاع العربية هي صورة قاتمة؛ لأن صانعيها هم رجال الأنظمة العربية على امتداد القرن العشرين... ثم يأتي بمثال من الواقع يقول فيه: لنبدأ من قضية فلسطين وما قبلها، أي من اللحظة التي قبلت فيها الدول العربية تقسيم فلسطين، وصولًا إلى الاستسلام العربي المعلن في مؤتمر مدريد ونتساءل: منْ كان وراء هذه الانتكاسات التاريخية؟ أليسوا هم الحكَّام والنخب السياسية التقليدية والرجعية العربية؟... إن كل الأزمات يمكنني أن ألخصها في أزمة واحدة تتمثل في غياب رؤية عربية؛ فالرؤية القومية فشلت في تقديم نموذج تنموي، أما الأنظمة العربية الأخرى فقد ظلت تشكو عقدة مزمنة هي عقدة الخوف من شعوبها، ولذلك كانت استراتيجيتها تقوم على الهاجس الأمني، فراحت تقوي نفوذ النخب الأمنية على حساب النخبة السياسية، والاقتصادية، والفكرية الفاعلة، فصارت الشعوب العربية كلها تحت أنظمة عسكرية أو شبه عسكرية. ولذلك فإن أي محاولة للتفكير في تقديم رؤية ما تبقى معطلة، تستعيض عنها هذه الأنظمة بخلق تجارب ديمقراطية مصطنعة تخفي وراءها صورة نظام فاشستي عصري قائم على إرادات مافيا نخبوية تحافظ على مصالح الاستعمار القديم، وتسلِّم بلدانها لنظام استعماري جديد ينهب خيراتها ويسيطر على مواردها»[1].

وقد وضَّح المنجرة تبعية الحكام العرب للغرب في حوار له إذ يقول: الواقع أن هناك حصارًا أكبر من حصار غزة، الذي يعاني منه مليون ونصف من المناضلين والمناضلات والأطفال الأبرياء الذين يموتون يوميًا، هو الحصار الذي يعاني منه الملايين في العالمين العربي والإسلامي، حصار الحكام ورؤساء الدول الذين ما لهم أن يقدموا على أية خطوة بدون إذن من واشنطن، حتى أنه لم تبقَ لأي رئيس دولة أو حكومة في أي مكان من عالمنا العربي مصداقية. ما وصل إليه الوضع الفلسطيني كان متوقعًا منذ كامب ديفيد، وأظن أن مسؤولية العالمين العربي والإسلامي كبيرة في هذا الجانب[2].

لم يكن الخوف بالنسبة للمنجرة مقتصرًا على الحكام فحسب، بل شمل المحكومين في عالمنا أيضًا، فالكل أصبح يخاف من الكل ويتوجس منه. وفي ذلك يقول:

---

(١) مهدي المنجرة: عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري، ص٦٦.

(٢) عادل نجدي: الدكتور المنجرة: لدينا أزمة رؤية في الأخلاق، مجلة هسبريس المغربية الإلكترونية، بتاريخ: ٢٤ فبراير ٢٠٠٨، تم الدخول: ٢١/ ٤/ ٢٠١٩. https://www.hespress.com/interviews/4947.html.

«فنحن نعيش اليوم الخوف كوسيلة للحكم والتحكم، وهو ما أكدت عليه في كتابي «الإهانة»، حين قلت بأننا دخلنا في عهد «الخوفـقراطية» وأن الخوف سيصير وسيلة مهمة للتحكم. فإذا كنا من قبل نشتغل في مجتمع إعلامي وبدور المعلومات في التنمية، فقد دخلنا الآن في مجتمع استخباراتي قوامه ليست حروب الإرهاب الحقيقي، وإنما حرب الإرهاب اللغوي «الإرهاب السمنتيكي»، فنحن نعيش اليوم الخوف كوسيلة للحكم والتحكم. أظن أن التحليل لم يبقَ نافعًا، مادامت الأمور أصبحت واضحة، بيد أن ما أود لفت الانتباه إليه في هذا الصدد، هو أن أكبر خيبة في عالمنا العربي هي ما نسميه بالنخبة التي باتت جزءًا من اللعبة، فجزء كبير منها تجده البارحة مشاركا في مظاهرة مساندة للقضية الفلسطينية والعراقية، لتفاجأ به في الغد وقد تربع على كرسي وثيرٍ [لينٍ أو وَطِيءٍ] وهذا التناقض هو في الحقيقة موت أخلاق»[1].

هذا الخوف لدى الشعوب نتج عنه الذل والمهانة كما أورد المنجرة في مقدمة كتابه «انتفاضات في زمن الذلقراطية»، هذا يجعلنا نتساءل: هل ستظل الشعوب العربية في هذا الذل إلى ما لا نهاية؟

يجيب المنجرة بالنفي، بل إن انتفاضة الأقصى هي مرحلة تحول كبرى تبشر بميلاد جديد، إنها رحلة لذيذة لأنها ستحملنا إلى مشارف عهد جديد، وهذا ما حمله على التنبؤ بوقوع انتفاضات شعبية واسعة في العالم العربي.

هذا وصف لمشكلة تغيير مسار عالمنا العربي والإسلامي المعاصر، أما الحل من وجهة نظر المنجرة فسوف نعرض له فيما يأتي.

هذا عن موقفه تجاه أمته العربية والإسلامية، ولكن ماذا عن موقفه من القارة الإفريقية؟ وماذا عن موقفه من العالم؟

د- موقف المنجرة من القارة الإفريقية:

لقد كان المنجرة مفكرًا عالميًا يحمل همَّ العالم بأسره، ولا أدل على ذلك من تعاطفه مع قارة أفريقيا على إثر الدورة الثالثة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة التي رأى فيها

(١) المرجع نفسه.

من الامتهان لقارة أفريقيا وضياع حقوقها ما جعله يقول: «لأول مرة منذ أربعة وثلاثين عامًا، كنت أمشي في قصر الزجاج في النهر الشرقي مطأطئ الرأس. لم أحضر اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة ولكن كنت أحضر جنازة! سألني صديق قديم، نائب الأمين العام لمنظمة الوحدة الأفريقية (OAU)، لماذا ارتديت رابطة عنق سوداء وكأنك في حالة حداد! أخبرته أن السبب هو أنني كنت أحضر مراسم دفن أفريقيا»[١].

ثم أردف المنجرة قائلًا: «لم يعد لأفريقيا الحق في تحديد خياراتها دون الاتفاق المسبق مع من لهم حق السيادة عليها، وبالتالي أصبحت أفريقيا تدار من الخارج»[٢].

إن هذا يشعرنا بإنسانية المنجرة كإنسان يتعاطف مع القارة الأفريقية؛ ليس فقط لانتمائه لها، بل لفقدانها لسيادتها التي سيفقدها بالتالي كرامتها، ومكانتها، وحقها في الاستقلالية.

هـ- موقف «المنجرة» من العالم وعلاقته بـ«صمويل هينتنغتون»؟

لا شك أن مخاطر ضرب التنوع الثقافي يترتب عليها إدخال العالم في دوامة من العنف والاقتتال كردة فعل على العدوان الثقافي. وهذا ما حذَّر منه الدكتور المهدي المنجرة، منذ ١٩٨٦، عندما أعلن بأن الحرب المقبلة ستكون ثقافية إذا لم تعط الأهمية للقيم والحضارات الأخرى؛ وهو ما أكده صامويل هنتنغتون فيما بعد في كتابه «صدام الحضارات»، ولكن بأسلوب يحرض على المواجهة[٣].

حين ملأ الدنيا وشغل الناس بنظريته حول صدام الحضارات، امتلك الأمريكي صمويل هنتنغتون[٤] من النزاهة مقدارًا كافيًا للإقرار بأنّ المفكر المغربي المهدي المنجرة (١٩٣٣ـ٢٠١٤) كان السبَّاق إلى طرح الفكرة، بل كان الأسبق في صياغتها على نحو بنَّاء

(١) *Par Mahdi Elmandjra: Afrique, lève-toil, Novembre 2007 l Afrique Asie, P.40.*

(٢) *Ibid.*

(٣) رشيد أبو ثور: احترام التنوع الثقافي من مستلزمات التكامل الحضاري، د.ت، د.ن، ص٧.

(٤) صامويل فلبس هنتنجتون *Samuel Phillips Huntington*. (ولد ١٨ أبريل ١٩٢٧ - توفي ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨) أستاذ علوم سياسية اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن الحادي والعشرين سيكونون الحضارات وليس الدول القومية كما استحوذ على الانتباه لتحليله للمخاطر على الولايات المتحدة التي تشكلها الهجرة المعاصرة. درس في جامعة يال، وهو أستاذ بجامعة هارفارد. عن موقع أبجد: *https://www.abjjad.com*

يستهدف صالح الأمم وائتلاف ثقافاتها. غير أن تلك الفكرة لم تكن أبرز منجزات المنجرة الريادية، في الواقع، لأن الفكر العربي المعاصر؛ وذاك الذي يخصّ الجنوب، والعالم الثالث، عمومًا يدين للراحل بسلسلة مفاهيم حول علوم المستقبليات (التي كان فيها مؤسسًا، على نطاق عالمي، واعتبرها موروثة في صلب الثقافة العربية الكلاسيكية)؛ وحول التجربة اليابانية في التنمية والبناء الاجتماعي (رأى أن ركائزها أربع: الاحتذاء بالقيم اليابانية الوطنية، ومحو الأمية، والارتقاء باللغة اليابانية الأم، وتطوير روحية البحث العلمي)؛ وكذلك نقد الأنظمة الديمقراطية الحديثة (والمرء يفكر في عبارته اللاذعة، «الذُّلقراطية»، التي تمزج بين الذل والديمقراطية)، ونقد العولمة الوحشية (التي اعتبرها أداة لتكريس التبعية وإلغاء الآخر وإعادة إنتاج أشكال الاستعمار القديم)؛ فضلًا عن مناهضته العميقة للصهيونية والمشروع الإمبريالي في المنطقة[١].

لقد اعترف صمويل هنتنغتون في الفصل العاشر من كتابه «صدام الحضارات» أنّه أخذ أصل فكرة صراع الحضارات من المهدي المنجرة، وقد نقل المنجرة نفسه هذا الاعتراف في كتابه «قيمة القيم» حيث قال: «يعترف هنتنغتون في الفصل الفصل العاشر من كتاب «صدام الحضارات» أنني كنت أول من استعمل عبارة «الحرب الحضارية»؛ فهو لا يكتفي بالاعتراف بدور القيم الثقافية في اندلاع الأزمات والحروب المقبلة، بل إنه يسمى الأمور بأسمائها ويحدد المناطق التي ستدخل قيمها في صراعات مع القيم اليهودية المسيحية، والتي تمثل في نظره خطرًا على المستقبل، وفي رأيي فإن «حرب القيم» لا تعني بالضرورة «حربًا بين الديانات»[٢].

لذا يختلف المهدي المنجرة عن «هنتنغتون» من حيث إن الأول كان قد أولى القيم الثقافية والحوار الثقافي أهمية كبيرة بوصفها مرتكزات مهمة في العلاقات الدولية، فقد ركّز اهتمامه على التفاعلات الثقافية في مضمونها القيمي ليستخلص تأثيرها في مجالات التاريخ والاقتصاد والسياسة والشؤون الدولية، وفي منظوره يمثل رهان التنوع الثقافي مفتاح البقاء مستقبلًا، ويعد المنجرة واحدًا من الباحثين الأوائل الذين تنبهوا إلى الوظيفة المركزية

(١) المهدي المنجرة: التنمية وأنظمة القيم، مجلة القدس العربي، أبريل ٢٠١٥، تم الدخول: ٢٤/ ٤/ ٢٠١٩. https://www.alquds.co.uk

(٢) المهدي المنجرة: قيمة القيم، الطبعة الثانية، المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧، ص١٢.

للهوية الثقافية في تحديد طبيعة الصراعات الدولية المقبلة، ففي عام ١٩٧٩ نشر تقرير نادي روما الذي شارك في إعداده، وذلك تحت عنوان «من المهد إلى اللحد» إذ أعلن في التقرير أن: «الهوية الثقافية تشكل مصدرًا متناميًا للنزاعات الاجتماعية والدولية، فهي تشكل على المستويين الوطني والدولي واحدة من أهم الحاجات النفسية غير المادية، ويمكن أن تكون مصدرًا من مصادر الصراع المتزايد في داخل المجتمعات، وبين مجتمع آخر». وفي حوار معهُ حول مستقبل العلاقات الدولية في برنامج عرضته يوم ١٢ أكتوبر ١٩٨٦ عبر عن يقينه بأنَّ *K.H.N* المحطة التلفزيونية اليابانية الحروب القادمة سوف تكون حرب حضارات، وأكد ذلك في حوار معهُ عام ١٩٩١[١].

وقد ذكر المنجرة الفارق بينه وبين هنتنغتون في كتابه «الإهانة» قائلًا: «ليس لي أن أقارن نفسي بهنتنغتون لأن أطروحتنا ليست متماثلة؛ فأطروحتي «استشرافية»، أما أطروحته فـ«توجيهية»... أطروحتي تتهيأ استباق الأمور لتفادي النزاعات، على عكس هانتنغتون الذي يعتبر أن البذرة الوراثية للعنف توجد في الحضارات»[٢].

من ثمَّ لم يكن «المنجرة» المفكر المعتدل كالكثيرين من فلاسفة الغرب المتعصبين الذين قالوا بنهاية التاريخ عند حضارتهم والذي منهم، على سبيل المثال لا الحصر، الفيلسوف الألماني «جورج هيجل» الذي تتمثل نهاية التاريخ عنده في المجتمع الليبرالي، ومن بعده «كارل ماركس» حيث تتمثل نهاية التاريخ عنده في المجتمع الشيوعي الذي تذوب فيه الفروق الطبقية، انتهاءً بـ «فرنسيس فوكوياما» الذي قال في كتابه «نهاية التاريخ ونهاية البشر»: (إن التاريخ سوف يصل إلى نهايته حينما تصل البشرية إلى النظام الاجتماعي الذي

(١) قيس ناصر راهي: دور الدولة في أطروحة صدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون دولة المملكة العربية السعودية أنموذجًا، مجلة الخليج العربي المجلد (٤٠) العدد (١-٢) لسنة ٢٠١٢، بغداد، ص٩.

انظر:

- المهدي المنجرة، جيمس ويوتكين ومريا ماليزا: من المهد إلى اللحد، التعليم وتحديات المستقبل، تقديم ليو بولد سيداتنسو، دار التكوين للنشر، الرباط، بلا سنة طبع، ص٢.
- المهدي المنجرة: الحرب الحضارية الأولى: مستقبل الماضي وماضي المستقبل، ط ٧، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠١، ص٤.

(٢) المهدي المنجرة: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧، ص٢٧.

يشبع الحاجات -المادية- الأساسية للبشر... وأن هذا النظام يتمثل في النظام الديمقراطي الليبرالي)[١]، وهو يعني بهذا النظام «الديمقراطية الأمريكية». وإنما كان المنجرة فيلسوفًا حرًا معتزًا بكرامته، وعروبته، وبحضارته الإسلامية وإن كانت تعيش في أيام ضعفها وتشرنقها إلا أنه لا يؤمن بموتها واضمحلالها، بل أنذر بعودتها ونهوضها من كبوتها.

على هذا لم يكن بدعًا أن يقف الدكتور «المنجرة» من العالم والحضارة الغربية موقف المنتقد، لا موقف المعتقد؛ وذلك لأنه لم يلهث وراء سراب ادعاء سيطرة الحضارة الغربية الخادع وعظمتها المزعومة، كما فعل الكثيرون من المتغرِّبين الذين انسلخوا من هويتهم، وعروبتهم، واتخذوا من الغرب إلهًا يسبحون بحمده ليل نهار، بل كان مفكرًا عربيًا خالصًا مخلصًا لوطنه ولعروبته[٢].

(١) انظر: فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط١، ١٩٩٣م، ص٨.

(٢) جميل أبو العباس زكير: مرجع سابق، ص١٤٣.

خامسًا

أبرز القضايا المستقبلية في فكر المنجرة

يعد البحث في النظام العالمي الجديد، والعولمة وما بعدها، والهيمنة الميغا إمبريالية من أبرز القضايا المستقبلية التي شغلت فكر المنجرة، وهذا يجعلنا نتساءل ما النظام العالمي الجديد؟ وما موقف المنجرة منه؟ وما العولمة وما بعدها؟ وما الهيمنة الميغا إمبريالية؟

تكون الإجابة عن هذه التساؤلات على النحو التالي:

١- ما النظام العالمي الجديد؟ وما موقف المنجرة منه؟

قرأ المنجرة الموقف العالمي الجديد ونظامه قراءة تحليلية ثاقبة، جعلته يتنبأ بالأحداث المستقبلية التي سوف تجري على هذا العالم، وبالأخص ما يتعلق بعالمنا العربي المعاصر. وقبل أن نخوض في موقفه يمكننا أن نوضح بداية المقصود بالنظام العالمي.

إذا كان النظام الدولي: هو تفاعل دول العالم، في نظام شامل، فإن النظام العالمي هو مجموعة التفاعلات بين مختلف الوحدات، وليس الدول فقط، وبالتالي فهو أكثر شمولًا من النظام الدولي[١].

يُعرِّف «أنور عبد الملك»[٢] النظام العالمي بأنه: «شكل سياسي، واقتصادي، واستراتيجي تنتظم في إطاره وحدات وأنماط من العلاقات تنطوي على صراعات، ومواجهات، وعمليات

---

(١) الصباح: آفاق استراتيجية: النظام الدولي.. النظام العالمي، نقلاً عن موقع: جريدة الصباح: *http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=19865*

(٢) أنور عبد الملك: كاتب ومفكر يساري مصري (٢٣ أكتوبر ١٩٢٤ - ١٧ يونيو ٢٠١٢)، حصل على ليسانس الآداب في الفلسفة عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م من جامعة عين شمس، ثم حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع ودكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون بفرنسا، بدأ مسيرته العلمية منذ عام ١٩٤١م حين صار مدرسًا ثم أستاذًا للأبحاث بالمركز القومي للبحث العلمي بباريس ١٩٦٠م ثم مديرًا للبحوث عام ١٩٧٠م. انظر: سيد محمود حسن: مثقفون: رحيل أنور عبد الملك يمثل خسارة لمشروع مفكري الدولة الوطنية، بجريدة الأهرام: ١٨/ ٦/ ٢٠١٢، تم الدخول: ٢١/ ٣/ ٢٠١٩. *http://gate.ahram.org.eg/News/222161.aspx*

تنمية، وتطور اجتماعي، وتحديث، تقفز أحيانًا بسرعة هائلة ثم تتوقف، أو ترتد، أو تصاب بضربات وهجمات مضادة تكسر شوكتها. ولقد برزت في إطار هذا الشكل منذ عام ١٩٤٥ قوتان عظميان، أي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية»[١].

في الواقع شكَّل سقوط الاتحاد السوفياتي بالنسبة للاستكبار العالمي، الذي تقوده الولايات المتحدة، فرصة سانحة لبسط السيطرة على مدَّخرات العالم الثالث، وتجويع شعوبها، والتدخل في شؤونها؛ فانبرى مفكرون كبار لفضح هذه الخطط الجهنمية الإمبريالية، مقدمين بدائل حقيقية. من بين هؤلاء المفكرين الذين قالو «لا» بصوت مرتفع، واستشرفوا المستقبل في ظل هذا الوضع الدولي الجديد، موضحين انعكاساته الخطيرة على المنطقة والعالم الثالث بدقة استشرافية بالغة لا يتجاوز هامش خطئها ٥٪، نجد المفكر المغربي «المهدي المنجرة» الذي صال وجال فكريًا في كبريات الجامعات الغربية، في حين منع من إلقاء محاضراته في الجامعات المغربية، لأن صراحته لم تكن محل ثقة المسئولين في الرباط كما كانت بعيد الاستقلال[٢].

لقد أدرك المنجرة مبكرًا حقيقة الصراع وحقيقة النظام العالمي الجديد، نظام الأمم المتحدة، ليستقيل سنة ١٩٧٦ من جميع المناصب في المنظمات الدولية، لاقتناعه بعدم وجود مبرر لاستمرار المنظمة، كما أن القائمين على نظام الأمم المتحدة سوف لن يكون سوى خادم للقيم اليهودية المسيحية وبعلم[٣].

بما أنّه علَم من أعلام الفكر الرافض للهيمنة الغربية واستحواذها على خيرات الشعوب الثالثة خصوصًا، ويعتبر من المعارضين الأشدَّاء للإمبريالية المتوحشة، منتقدًا جشع النيوليبرالية الجديدة أو الاستعمار الجديد، ومن المدافعين الأُصَلاءِ عن حق العالم الثالث في تحقيق تنمية مستقلة عن سياسة الدول العظمى اللاإنسانية[٤].

---

(١) أنور عبد الملك: تغيير العالم، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٨٥،٩٥، ص١١.

(٢) رشيد العزوزي: كيف يرى عالم المستقبليات «المهدي المنجرة» شروط تجاوز أزمات الربيع العربي؟، عن موقع كيوبوست، بتاريخ: ١٣/ ١٠/ ٢٠١٨. https://www.qposts.com/

(٣) لحلو بوخاري: المهدي المنجرة في ذكرى رحيله، عن موقع الجزيرة، بتاريخ: ٧/ ٦/ ٢٠١٧. https://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/6/7/

(٤) صالح لبريني: الباحث المهدي المنجرة رؤية تنتصر للإنسان، عن جريدة القدس العربي، بتاريخ: ١١ يوليو ٢٠١٨. تم الدخول: ٢١/ ٣/ ٢٠١٩. https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF

دعا المنجرة إلى نظام عالمي جوهره العدالة، والإنصاف، والكرامة، فقد اعتبر أن الأنظمة المتخلفة تسعى دائمًا إلى ترسيخ ثقافة العبودية والاستعباد، وممارسة الجَوْر والاستبداد، بل هي السبب الرئيس في تخلف شعوبها، والعمل على تكريس ثقافة الخنوع، والخضوع، والتبعية المقيتة لإملاءات صندوق النقد الدّولي وبنك باريس وغيرها صناديق، مما يؤدي إلى انتشار أحزمة البؤس، والفقر، والجهل، واللا أمن، وهذا يتناقض مع كل المواثيق الدولية، فبدون إنسانية الإنسان لا يمكن الحديث عن القيم، لهذا حاول الوقوف إلى جانب الإنسان أينما كان بالحث عن قيمة القيم التي أبرز أنها المسلك الوحيد للقضاء على التغول الإمبريالي في دول العالم الثالث. بعبارة أخرى إن العمل على نشر القيم الإنسانية كما يتصوَّرها المنجرة ليس كليشيهات برَّاقة تعمي البصر والبصيرة، وإنما كثوابت يشترك فيها كل الناس كيفما كان عرقهم، أو جنسهم، أو لونهم، أو دينهم، لكن المهم هو الإنسان في جوهره وعمقه[١].

إذا كان فيلسوفنا تحدث عن النظام العالمي ومستقبله، وما يتعلق به من قضايا: كالعولمة، وما بعدها، والهيمنة الميغا إمبريالية، وإن كان هذا إذعانًا منه بنهاية العولمة إلا أن النهاية -بحسب ما يقول علي حرب- ليست إيذانًا بتأييد اللحظة والراهن أو وصول ذي النهاية، أيًا تكن، إلى اكتماله وتمامه، وليست نهاية الأفول والانهيار، أو الزوال والاندثار، بل تعبير عن انقلاب وجودي وفتح كوني يخضع العالم فيه لتحولات تنقلب معها القيم والمفاهيم، وتتغير المشروعيات والمهمات بقدر ما تتجدد القوى والوسائل والمؤسسات[٢].

نستنتج من هذا أن المنجرة قد اتخذ من موقفه من النظام العالمي مسلكًا ليعبَّر من خلاله عن موقفه من العولمة وما بعدها، ورفضه للهيمنة الميغا إمبريالية وبيان زيف حقيقتها، وذلك على النحو التالي:

٢- ما المقصود بالعولمة؟ وما موقف المنجرة منها؟

أ- ما المقصود بالعولمة؟

العولمة *Globalization*: لا يوجد تعريف جامع مانع للعولمة، فقد كانت لها تعريفات

(١) صالح لبريني: مرجع سابق.

(٢) انظر: علي حرب: حديث النهايات: فتوحات العولمة ومأزق الهوية، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٢.

متعددة لعل أهمها يصفها بأنها: «تشير إلى كل المستجدات والتطورات التي تسعى، بقصد أو بدون قصد، إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد، وقد ذهب «أنطوني جيدنز» إلى القول: «إنها تكثيف للعلاقات الاجتماعية على مستوى العالم»[١].

كما جاء في معجم ويسترز: «إن العولمة تعني إكساب الشيء طابع العالمية وخاصة جعل نطاقه وتطبيقه عالميًا»، بتعبير آخر جعل الشيء في مستوى عالمي؛ أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة». ويرى البعض أن العولمة تعني النزعة السوقية الكونية وظهور السوق الاقتصادي بوصفه بداية الموقف ومنتهاه[٢].

في حين يرى الدكتور المهدي المنجرة أن العولمة: تعني الإدماج اقتصاديًا، وثقافيًا، وسياسيًا، بل حتى اجتماعيًا[٣].

ب- موقف المنجرة من العولمة:

لم تكن نظرة المنجرة للعولمة وبريقها اللامع الذي حاولت من خلاله استقطاب المفكرين العرب للوقوف إلى جانبها من منطلق كل ما تمتلكه من عناصر القوة المبهرة، التي اكتشف «المنجرة» حقيقة زيفها وخداعها في وقت مبكر من كتاباته الفكرية، على العكس تمامًا من غيره من المفكرين الذين انجرفوا خلفها، وسقطوا في شباكها، وجروا وراء سرابها الخادع!

على حد تعبير المنجرة نفسه: «إن أولئك الذين يريدون منا أن نثق بالعولمة بنوع من السذاجة، لم يكتشفوا بعد ما يربطهم بشعبهم وبالإنسانية بصفة عامة... فهم قد احتجزوا الكوكب الأرضي، وجعلوا الفضاء خاضعًا للهيمنة العسكرية، واحتلوا البلدان، ورشوا الحكومات، واشتروا عقول وأقلام جزء لا يستهان به من أنتلجنسيا[٤] العالم الثالث، وعبَّدوا

(١) محمد عبد القادر حاتم: العولمة ما لها وما عليها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥، ص١٨.

(٢) استيتيتو عبد الله: ظاهرة العولمة بين خيار التبني ومقاربة الرفض العولمة الاقتصادية نموذجًا، مجلة عابد الجابري الإلكترونية، ص١. *https://www.aljabriabed.net/n68_01stititu.htm*

.انظر: الجنحاني الحبيب: العولمة من منظور عربي، سلسلة المعرفة للجميع، ع. 19، 1998، ص103

(٣) المهدي المنجرة: عولمة العولمة من أجل التنوع الحضاري، بتصرف.

(٤) أنتلجنسيا: «إن أصل كلمة «*Intellectuals*» المشتقة من «*Intellect*» والتي استخدمت بمعنى مرادف لـ«*Intelligence*» وتعني الفكر والذكاء، أو ملكة عقلية لاكتساب العلم والمعرفة - وعلى هذا الأساس فالكلمتان «*Intellectuals*» و«*Intelligentsia*» مرادفتان لمعنى واحد هو المفكرون أو المبدعون في مجال =

الطريق أمام شركاتهم متعددة الجنسيات... إن العولمة تعني مركزة السلط، كل أشكال السلط، وليس فقط السلطة السياسية»[١].

يتضح من قول المنجرة أن ظاهرة العولمة، من وجهة نظره، بصرف النظر عن كل المقاربات والتأويلات، مرحلة من مراحل الاستعمار [الاحتلال] الجديد الذي تعمل القوى الكبرى على التأسيس والترويج لها، ليس فقط على مستوى الممارسة والتطبيق، ولكن أيضًا على مستوى الثقافة والفكر[٢].

إن العولمة في نظر الدكتور المهدي المنجرة هي فرض لنمط معين من القيم من لدن دول الشمال على دول الجنوب، ولا ينتفض المهدي المنجرة، وهو السابر لأغوار العلاقات الدولية والعارف بمعظم تفاصيلها، ضد العولمة كظاهرة استعمارية جديدة فحسب، بل وأيضًا كتوظيف لغوي يحرم الدول والشعوب من حقها في اختيار مصطلحاتها، ومفاهيمها، ومفرداتها للتعبير عن واقعها وآمالها في التحرر، والاستقلال، والكرامة. علاوة على ذلك فإن رفض المنجرة لظاهرة العولمة السائدة، إنما هو رفض لحمولتها الاستعمارية الجديدة، لبعدها الاقتصادي والإقصائي، ولمحتواها الفكري المتمركز حول المنظومة الغربية، ولتطلعها إلى صهر كل ثقافات العالم في المهيمنة منها، ولرفضها مبدأ التعدد والتنوع اللذين لا مستقبل للبشرية بدونهما[٣].

على هذا الأساس، فإن المنجرة يرفض فكر العولمة جملةً وتفصيلًا، لا سيّما ما هو سائد في الدراسات الفكرية والسياسية الغربية المعاصرة الموالية لأطروحات النظام العالمي الجديد، ويدعم رفضه هذا بمجموعة من الأدلّة العلميّة والواقعيّة، التي يتقرّر من خلالها أنّ

= الذهن والنشاطات المتعلقة به. ونتيجة لما رافق من تطور في مضمون هذه الكلمة شملت فئات اجتماعية أخرى. والأنتلجنسيا: هي شريحة اجتماعية تمتهن العمل الذهني المعقّد بطابعه الإبداعي والجمالي، وتشتغل في إدارة الإنتاج وتنشغل بتطوير الثقافة وتهتمّ بنشرها.
جمال قصودة: في تعريف الأنتلجنسيا، في موقع: أنتلجنسيا للثقافة والفكر، تونس، بتاريخ: ٢ يونيو ٢٠١٦. *https://www.intelligentsia.tn*

(١) المهدي المنجرة: عولمة العولمة من أجل التنوع الحضاري، ص١٢، ١٣.

(٢) مراجعة لكتاب: عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري، المهدي المنجرة، منشورات الزمن- الرباط، الطبعة: الثانية، ٢٠١١. *https://archive.org/details/awlamat_al-awlama*.

(٣) المرجع نفسه.

العولمة ما هي إلا أداة استعمارية جديدة، تتلبّس بما هو اقتصادي، أو إعلامي، أو لغوي، ما دامت في واقع الأمر ليست سوى عملية يتم بواسطتها، بمساعدة صندوق النقد الدولي والبنك العالمي، «تنظيم» نزع ملكية الشعوب بمباركة الزعامة المحلية التي لا يفوتها الاغتناء بالمناسبة[١].

لقد اتفق الدكتور مصطفى النشار مع المنجرة من حيث تأكيد الأول على رفضه للعولمة؛ من منطلق أننا نرفض أن تصبح ذريعةً للهيمنة على شعوب العالم، وفرض قيم ثقافية، وتقدمية ناقصة، ومشوهة على شعوب وحضارات هي في ذاتها أعرق وأكثر قدرة على النهوض، وعلاج تشوهات، وسد نقائص الحضارة الغربية المعاصرة، وخاصة الصورة الأمريكية منها، كما أكد فيلسوفنا أننا نمتلك استراتيجية خاصة للثقافة ولمعنى التنمية والتقدم، كما أننا نستطيع -إذا شئنا وأردنا بحق- أن نشارك في صنع الحياة الأفضل لأنفسنا وللآخرين[٢].

على هذا استنتج المهدي المنجرة أن الحداثة الغربية تسعى جاهدة لأن تفرض نفسها علينا باسم العولمة محاولة بذلك أن تسلب منا حقنا في التفكير والاختيار، وحقنا في الاعتصام بهويتنا والتمسك بها. تأسيسًا على ذلك سخَّر المنجرة كتاباته ضد ما أسماه بـ«العولمة الجشعة»، أو «عولمة الخوف» ويقصد بذلك هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية وسيطرتها على العالم بأسره ولا سيَّما العالم العربي المقهور، تلك الهيمنة التي سماها «الهيمنة الميغا إمبريالية، والتي نعرض لها على النحو التالي.

٣- ما الهيمنة الميغا إمبريالية؟

أ- ما المقصود بالهيمنة الميغا إمبريالية؟

إن كلمة الإمبريالية مشتقة من كلمة *Empire* اللاتينية، وهي تعني كل سياسة توسعية تهدف إلى إنشاء إمبراطورية، كما تعني كل منظومة فكرية تبرر تجسيد ذاك الهدف... وبدون الدخول في تفاصيل الاختلافات التي تحكم مختلف الإمبرياليات عبر التاريخ يمكن القول:

(١) التيجاني بولعوالي: مرجع سابق.

(٢) مصطفى النشار: ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري وموقعنا منه، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣٣.

إن هذا المفهوم أخذ في التداول والتجسُّد على أرض الواقع منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك نتيجة إلى هستيريا التنافس بين القوى الكبرى حول امتلاك «فضاءات الحيوية»، وهو ما أدى -منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين- إلى اقتسام العالم بين أقطاب النظام الرأسمالي بتبريرات وحجج مختلفة: حضارية، وإنسانية، ودينية، وعنصرية بجيولوجية وإحيائية[١].

تعني الإمبريالية: الممارسة، والنظرية، ووجهات النظر التي يملكها مركز حواضري مسيطر يحكم بقعة من الأرض قصيَّة... وهي ببساطة العملية أو السياسة اللتان بهما يتم تأسيس الإمبراطورية، أو إدامتها والحفاظ عليها. يكاد يكون الاستعمار المباشر قد انتهى لكن الإمبريالية تستمر حيث كانت موجودة دائمًا: في مناخ ثقافي عام، وفي ممارسات سياسية، وعقائدية، واقتصادية معينة أيضًا[٢].

عرَّف المنجرة «الميغا الإمبريالية»: «بأنها الإمبريالية العظمى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وتحالفاتها ذات الهندسة المتنوعة، وهذه السلطة الجديدة ترتكز أساسًا على الأسلحة وعلى الأنظمة الديكتاتورية في العالم الثالث، إنها شكل جديد من أشكال الفاشية لا تترك حيزًا كبيرًا للتسامح واحترام الآخر، بل ولا للعدالة أيضًا، وتعتبر سلاحًا «للدمار الشامل» موجهًا ضد الكرامة»[٣].

بهذا كان المقصود بالمهيمنة الميغا إمبريالية؛ أي السيطرة التوسعية الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية على كل دول العالم ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا.

ب- موقف المنجرة من الهيمنة الميغا إمبريالية:

لقد تطورت الإمبريالية إلى مراحل متعددة كانت أخرها مرحلة الهيمنة الميغا إمبريالية

(١) الهادي التيمومي: مفهوم الإمبريالية من عصر الاستعمار إلى العولمة، تقديم: عبد اللطيف الحناشي، تونس، دار محمد علي الحامي، ٢٠٠٤، ص٧٢.

(٢) إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة، بيروت-لبنان، دار الآداب للنشر والتوزيع، ص٨٠.

(٣) المهدي المنجرة: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧، ص٨.

الأمريكية، جاء ذلك واضحًا في كتاباته المختلفة وبالأخص في كتابه «الإهانة في عهد الميغا إمبريالية *Humiliation à l'ère du méga-impérialisme*»؛ حيث أوضح المنجرة فيه حقيقة الهيمنة الإمبريالية التي تسعى للميغا إمبريالية المنفردة، وعدَّد صور الإهانة التي يعيشها العالم العربي والإسلامي، وغياب الكرامة وضياعها.

خلص المنجرة إلى حقيقة مؤداها أن ما تسعى إليه الولايات المتحدة الأمريكية هو فرض الهيمنة على العالم والسيطرة على كل ربوعه تحت قبضتها، تلك التي سمَّاها «الميغا إمبريالية» التي تتظاهر فيها الولايات المتحدة أنها تدعم نشر العولمة وقيمها، وإن كانت الحقيقة الخفية التي تؤمن بها الولايات المتحدة، والتي أظهرها المنجرة غير ذلك تمامًا، وإنما الهدف الأساس خدمة المشروع الصهيو-أمريكي الذي أحكم قبضته على العالم بصفة عامة وعالمنا العربي بصفة خاصة، حيث أضحت الحضارة العربية حضارة تابعة بعد أن كانت متبوعة، مُقلِدة بعد أن كانت مبدِعة، ذليلة بعد أن كانت عزيزة، ضعيفة بعد أن كانت قوية، فقيرة -وإن كانت في الحقيقة غنية بالموارد الاقتصادية كافة يفتقدها الغرب- بعد أن كانت غنية. حقيقة الأمر لم تعد حضارتنا العربية حضارة بالمعنى الأصيل للكلمة، بل أضحت عروبتنا وجامعتنا العربية جامعة اتفاقها الوحيد على ألا تتفق.

علاوة على ذلك يؤكد المنجرة أنه بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي، وسقوط جدار برلين، ونهاية المعسكر الشيوعي دخل العالم مرحلة تاريخية جديدة، وعصر ما يعرف بالمعرفة والتقنيات، وحقبة القطب الوحيد، أو القوة الوحيدة الممثلة في الولايات المتحدة الأميركية؛ فأصبحت الإمبريالية لا تعني توسعًا استعماريًا للاستيلاء على مناطق لأسباب اقتصادية، ولم تعد تعتمد التدخل العسكري المباشر في تلك المناطق أو الوجود في عين المكان، بل إنها تعتمد من الوسائل الحديثة ما يكفل لها التحكم عن بعد في كل بلد حول العالم الذي تحوَّل إلى عالم استخباراتي محض[1].

بهذا دخلنا في ما سماها الدكتور المهدي المنجرة في كتابه «الإهانة في عهد الميغا إمبريالية» الحرب الحضارية الثانية وهي «حرب ضد كل ما هو عربي مسلم، وإذا شئنا فهي

(١) عبد الحكيم أحمين: عرض لكتاب: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، بتاريخ: ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٤، على موقع الجزيرة الإلكتروني، تم الدخول: ٢٤/ ٤/ ٢٠١٩. *https://www.aljazeera.net*

ضد كل ما هو غير يهودي مسيحي»، والحرب على العراق جزء منها. أما حدث ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ فهو لا يُغيِّر في المسلسل المذكور شيئًا، إذ كانت كل الأشياء معدة وفق عدة سيناريوهات للسيطرة على العالم، وأحسن طريقة في ذلك هو السيطرة على منطقة عربية مسلمة استراتيجية من الناحية الجغرافية ولها مواد طبيعية مثل النفط[١].

يذهب عالم المستقبليات المنجرة إلى القول: «إن ما سيأتي إنما هو بعد استعماري جديد» إذ أصبح للميغا إمبريالية أسلوب جديد ولغة من تركيب جديد، والميغا حسب مدلولها تقتضي الانفراد بالقرار؛ فهي لا تقبل إمبريالية أخرى منافسة على عكس ما كان في السابق، حيث كانت الإمبريالية الفرنسية مثلا تقبل بوجود إمبرياليات أخرى: ألمانية، وبريطانية، وإسبانية، أو غيرها. فتحولت بذلك الولايات الأميركية منذ ١١ سبتمبر/ أيلول إلى قوة هيمنة عالمية غير مسبوقة في تاريخ العلاقات الدولية وفي التطور الإنساني؛ لأن أميركا دولة لها قوة الهدم والتحطيم تقتل ٥٠ أو ٦٠ مرة مجموع السكان فوق الكرة الأرضية، وليس هناك أحد يمكنه التحكم فيها بما في ذلك الدول الأوروبية[٢].

ففي السابق كانت هناك منافسة في الميدان الإمبريالي بين فرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، وألمانيا، والبرتغال، وإسبانيا التي كانت تتفاوض وتتقاسم العالم فيما بينهما، لكن الآن هناك استعمار واحد مسير من مكان بعيد والبقية تسمع وتطيع. ظهرت الميغا إمبريالية -أو إمبريالية مضاعفة ألف مرة- نتيجة تطور العلوم والتكنولوجيا، وأتاحت وسائله الجديدة خصوصًا الأقمار الصناعية وإنتاج البحث العلمي العسكري بالأساس الفرصة للسيطرة على العالم بشكل مضاعف آلاف المرات، وحيث لم تبقَ نقطة فوق هذه الأرض لم تدخل في نفوذ هذه الإمبريالية[٣].

يؤكد المنجرة أننا دخلنا مرحلة الحرب الحضارية الثانية أو في ذلك يقول: «أثناء الحرب الحضارية الأولى كما إزاء ديكتاتورية ما بعد استعمارية، أما ما نحياه في المرحلة الثانية (المرحلة الحالية) فيمكن نعته بالفاشية الجديدة، فاشية تحالفية دولية، تستفيد منها

(١) المهدي المنجرة: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، ص١٣: ٢٥.

(٢) عبد الحكيم أحمين: مرجع سابق.

(٣) عبد الحكيم أحمين: مرجع سابق.

حكومات وأنظمة دول العالم الثالث كوسيلة إضافية لبقائها في الحكم جاثمة على أنفاس شعوبها، وهذا ما يفسر مواقف الدول العربية المتهافتة لتقديم الدعم لأمريكا، هذه الدول التي لم تزدد الفجوة بينها وبين شعوبها إلا ترسخًا واتساعًا[١].

بهذا فضح المنجرة بعض الأنظمة العربية على الملأ، ولعل هذا كان سببًا في مطاردة فكره وإقصائه بعيدًا عن الساحة، بهذا لم تكتفِ الهيمنة الأمريكية بإذلالها الحكام العرب، بل تجاوزتها إلى إهانة الشعوب نفسها.

تتضح محاولات الميغا إمبريالية لإهانة للشعوب العربية والإسلامية، حينما ضُربت متاحف ومكتبات بغداد كان فعلًا مقصودًا منه إهانة شعب وقتل ذاكرته. وأخطر ما تصطدم به البشرية من جراء مذهب «بوش» هو سيطرة قيم تعتمد فقط على القوة العسكرية، ولا تدع مجالًا للتنوع الثقافي والحضاري، وستكون النتيجة الفورية لهذا المذهب هي التدمير غير القابل للوصف والتقدير لما بقي من العراق، وسيكون مئات الآلاف من الأبرياء ضحايا هجوم همجي سيستخدم ويجرب فيه أحدث الأسلحة المتطورة[٢].

لذا يرى المنجرة أن الحرب على العراق ستستمر على الأقل ١٥ أو ٢٠ سنة أخرى، وأنها جزء من «حرب صليبية ثامنة» ضد الإسلام تقودها الإمبريالية الجديدة أسفرت عن ١٠ ملايين قتيل في العالم العربي والإسلامي خلال عشر سنوات فقط، سبقتها ثماني حروب خلفت أقل من ١٠٠ ألف قتيل! ويرجع السياسة الأميركية الجديدة هذه إلى عنصرين، الأول القوة التي تتمتع بها أميركا رغم أن شوكتها قد انهدت يوم ١١ سبتمبر/ أيلول، والثاني هو سطوتها السيكولوجية النافذة على الحكومات العربية والإسلامية والغربية كذلك[٣].

ووجهت الميغا إمبريالية «سلاحها للدمار الشامل» ضد الكرامة، إذ استغلت أميركا بعض الظروف ودخلت نفسيًا في مرحلة خطيرة هي مرحلة الخوفقراطية، ودفعت الرؤية الغربية للعراق المبنية على الخوف من المد الحضاري، الذي كان سيشكله هذا البلد كأساس حضاري للأمة العربية خاصة أنه يمتلك ثروات طبيعية هائلة، الغرب إلى ضرب

(١) المهدي المنجرة: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، ص٤٠.
(٢) عبد الحكيم أحمين: مرجع سابق.
(٣) عبد الحكيم أحمين: مرجع سابق.

العراق والقضاء على كل مقومات قوته ليكون عبرةً للآخرين وتخويفًا لهم حتى يبتعدوا عن كل ما يزعج الغرب[١].

ظهرت بوادر هذا الخوف مع أول إحصاء في العالم عن الإسلام قام به الفاتيكان سنة ١٩٧٦ وأظهر أنه لأول مرة في تاريخ البشرية يفوق عدد المسلمين عدد الكاثوليك، لذلك بدأ الخوف من الإسلام وبدأت حرب إعلامية نفسية تمت من خلال توصيف مصطلح «إسلامي»، وأصبح هذا الخوف أحد أكبر حالات الهوس الذي يعيشه الغرب؛ بسبب الجهل وغياب التواصل الثقافي، والعجرفة التي تقود إلى إذلال الآخر وتغذي حربًا حضارية منذ العام ١٩٩١. كما أن الاهتمام الاستخباراتي بالمعلومة كان له الأثر الواضح على الذات في تفكير الغرب -أميركا- وأدخل الخوف عليه في كل دقيقة[٢].

وقد انتقل الخوف بعد ذلك إلى العرب واتخذه القادة وسيلة للحكم، وأصبح العالم العربي يعيش «الذلقراطية» في ظل غياب المؤسسات الديمقراطية والانهيار الشامل لنماذج التنمية التي فرضتها المؤسسات الدولية، وفي ظل الاستلاب الثقافي الذي يعد «الذل الأكثر خطرًا على المستوى البعيد؛ لأن الأمر يتعلق بعدوان على أنظمة القيم». كما أن العالم العربي يعيش «الخوفقراطية» التي تتجلى في الخوف من التغيير وحقوق الإنسان وحقوق المرأة والنقابات والشباب والخوف من القوى الكبرى، إضافة إلى «التفقيرقراطية» الذي أصبح نظامًا للتدبير والحكم أيضًا، وأولوية «الجهلقراطية والكذبوقراطية والشيخوخقراطية»[٣].

السبب في هذه الإهانة يعود إلى ظهور الميغا إمبريالية وتواطؤ أنظمة دول العالم الثالث، بالإضافة إلى الخوف من الإسلام ليدخل العالم تحت وطأة «الذلقراطية» أي نظام سياسي واجتماعي وثقافي يقوم على أساس استغلال التفاوت في علاقات القوى الداخلية والخارجية، ومحاولة بسطه لهيمنته عن طريق الخوف أو الرهابقراطية (ممارسة الحكم بواسطة الخوف والتخويف)، بدل الديمقراطية والحريات الأساسية، ويعتبر القسم الأكبر ضمن دول العالم الثالث الذي تعرض لهذه الإهانة هو العالم العربي والإسلامي[٤].

(١) الخوفقراطية والإهانة، بتاريخ: ١٣ يتمبر ٢٠١٤. مقال إلكتروني دون مؤلف.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) عز الدين الشنادي: قراءة في كتاب «الإهانة في عهد الميغا إمبريالية» للمهدي المنجرة، بتاريخ: ٣ نوفمبر =

هذه الوضعية سيطرت على الحكومات العربية والإسلامية وحالت بينها وبين تشكيل رؤية بعيدة المدى للانعتاق من هذه الوضعية التي يختزلها تاريخ العالم الثالث في السنوات الخمسين الأخيرة الذي هو حلقة متسلسلة لا متناهية من المهانات والمذلة[١].

لقد سبق «ابن خلدون» في الفصل الثالث والعشرين من مقدمته تحت عنوان: في أن المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيه، ونحلته وسائر أحواله، وعوائده أن قال: «إن القوي يفرض على الضعيف المنهزم قيمه، وعباراته، ولغته»[٢]، وهذا خير تعبير عن واقعنا المهين بالنسبة لنظام الأمم المتحدة وموقفها منا.

مما ذكرنا، نستنتج أن علاج العولمة أو الهيمنة الأمريكية من رأي المنجرة تتمثل في أنه: لم تعد لدينا أيّ شرعية حقيقية دوليًا، فأمريكا تقول إنها تعتبر قرارها ودفاعها عن شعبها هو الشرعية، وتمنح لنفسها الحق في التدخل في أي مكان تريد، ولا أحد يعارضها نحن نعيش فترة تطرح علينا فيها تساؤلات كبرى، تمثل امتحانًا لهذا العالم الجديد الذي نريده. وأرى أن هناك رؤية فيها تشاؤم، والتشاؤم هو أنه لا يمكن أن نصل إلى حالة ذل أكثر مما وصلنا إليه، وبالخصوص في العالم العربي والإسلامي، وهو ما أسميه الذلقراطية؛ إن حكامنا يقبلون الذل ممن هم أقوى منهم، وبالخصوص أمريكا وإسرائيل وحين يقبلونه يسقطونه علينا كشعوب، وشعوبنا تقبل الذل من حكامها، فنحن إذن أمام ذل وإهانة عظيمة[٣].

بذلك لا يرحب المنجرة بالعولمة ولا يحب استخدام هذا المصطلح لما يحويه من حمولات فكرية وفلسفية ودلالات سيميائة مضللة؛ فالعولمة حسبه ما هي إلا فرض لنمط معين من القيم من لدن دول الشمال على دول الجنوب، بتزكية ومباركة من أنظمة وحكومات هذه الأخيرة، وكذا بواسطة أقلام مرتزقة وهبت فكرها وتحليلها لفائدة حكام متواطئين في مرحلة ما بعد الاستعمار مع مستعمريهم القدامى؛ فبعد انهيار المعسكر السوفيتي أفرغت

= ٢٠١٦، مجلة ثقافات الإلكترونية، تم الدخول: ٢٥/ ٤/ ٢٠١٩.
http://thaqafat.com/2016/11/67761

(١) المرجع نفسه.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، بتاريخ: ١٢ يناير ٢٠١٣. https://ar.wikisource.org/wiki/

(٣) مراجعة كتاب: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية.
https://www.goodreads.com/book/show/34626688

الساحة أمام صندوق النقد الدولي ومؤسسات العولمة الأخرى ومجموعة السبعة الكبار؛ للتحكم في العالم وخلق مرحلة إمبريالية جديدة يطلق عليها المنجرة مرحلة الميغا إمبريالية، والتي حملت عنوان أحد مؤلفاته، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية[1].

(١) لحلو بوخاري: مرجع سابق.

سادسًا

ما سبل الخروج من أزمة العالم العربي والإسلامي الراهنة؟

بعد أن عرض المنجرة لحقيقة الولايات المتحدة الأمريكية وكشف عن وجهها القبيح الخفي ومخططها التوسعي، وأبرز الأمراض السقيمة التي حلَّت بأمتنا العربية والتي عجز كثير من المفكرين العرب على التصريح بها مثلما فعل المنجرة، قدَّم الأخير الحل والعلاج في: وحدة الأمة العربية سياسيًا، واقتصاديًا، وعلميًا...الخ من أجل التصدي لغول الهيمنة الغربية وذلك؛ بالرجوع للغة العربية، وتفعيل جامعة الدول العربية واستقلالها، وتحرر القادة العرب من سطوة الغرب الغاشمة، والتمسك بحق فلسطين كدولة عربية.

لقد تجلى ذلك بوضوح في إيمانه بأن: «التغيير آتٍ أحبَّ من أحبَّ وكره من كره، السؤال الوحيد الذي يجب أن نفكر فيه هو ثمن هذا التغيير؛ فكل تأخير سيدفع عنه الثمن»[1]، وهذا ما يجعلنا نتساءل: ما السبيل إذًا للقضاء على هذا الخوف أو ما الحل لاستشراف هذه الانتفاضات التي ستقلب الموازين رأسًا على عقب في عالمنا العربي؟

لقد عدَّد المنجرة سبل التقدم في كتاباته المختلفة إيمانًا منه بأن التقدم لا يمكنه أن يسير في اتجاه دون آخر؛ فلا مجال للتقدم التقني والمادي دون التقدم الروحي الديني والثقافي، والعكس بالعكس. على هذا رأى المنجرة أنه إذا أراد العرب التقدم فعليهم الالتزام بالتالي:

١- **صناعة رؤية عربية حقيقية:** إذا كان المنجرة أوضح آنفًا أن كل الأزمات يمكن تلخيصها في أزمة واحدة هي أزمة غياب رؤية عربية حقيقية، إلا أن الخروج من مأزق هذه الأزمة يكون بصناعة تلك الرؤية. وقد أكد المنجرة لخروج أمتنا العربية والإسلامية من أزمتها على ضرورة أن يكون لها رؤية واعية، وواضحة، وناصعة؛ لأنه لا سبيل للتقدم دون رؤية وتخطيط استراتيجي. وقد خلص في نهاية الحوار إلى أن أزمة العالم الثالث في

(١) من حوار أجرته جريدة المساء المغربية من العام ٢٠٠٦.

الوقت الراهن، أزمة حضارية تنم على غياب رؤية واضحة، يتماهى الناس معها ويعملون في ضوئها[١].

هذا يجعلنا نتساءل منْ المنوط به امتلاك تلك الرؤية العربية وحيازتها هل المثقفون أو الشعوب العادية؟

يرى المنجرة أن النخبة المثقفة في العالم العربي نوعان: فئة تتعامل مع الوضع كما هو بانتهازية وأحيانًا بارتزاق؛ فحين نتحدث عن الرشوة والفساد في صفوف مسئولينا نكتشف أن نسبة كبيرة من هؤلاء المسئولين الفاسدين الذين يتصرفون في المال العام وكأنه مالهم الخاص هم من النخبة المثقفة. أما الفئة الثانية من المثقفين، فلا تتحرك وتقبل بالأشياء كما هي وهذه هي الفئة الكبرى[٢].

ويتساءل الدكتور المنجرة وهو يُشخِّص الأزمة «أين مثقفونا ومبدعونا؟ ما الذي حدث لمناضلينا المدافعين عن القضايا الكبرى؟! أين هم المتحدثون باسم المجتمع المدني؟ إلى أي حد ستصل بهم الوشاية وتجارة المخابرات؟ كيف نفسر سكونيَّتَنَا الخاصة والقبول بمذلة وطنية ودولية كهذه؟» ثم يجيب عن تساؤلاته في موضع آخر: «نحن نعرف من يموّل هذه النخب «الحركات الثقافية/ صالونات النخبة» موجها سهام نقده نحو الإعلام الذي وصفه بأنه «سطحي»، إذ يقول: «إني لم أعرف يومًا ما الإعلام العربي، فهو سطحي محكوم بتبعية وبضغوط رئيسية، مثل غياب الديموقراطية في البلاد العربية، والضغوط الخارجية نتيجة للهيمنة على منابع الإعلام، إضافة إلى التمويلات الأجنبية لتطوير الإعلام عندنا الذي يفتقر إلى الإمكانات والوسائل المتطورة، مما يفتح باب تلقي المساعدات، وما يتبع ذلك من وصاية»[٣].

أما بالنسبة للإنسان العادي فيقول: وإن كانت الشعوب العربية تعيش في ما أسميه «الذلقراطية» دون أن يصدر عنها أي تحرك، مما يثير أكثر من علامة استفهام، إلا أن الوضع

(١) المهدي المنجرة: قيمة القيم، ص٦٥.

(٢) عادل نجدي: مرجع سابق.

(٣) عبد الحكيم الزاوي: عقلانية التشاؤم وتفاؤل الإرادة: قراءة في كتاب «الإهانة في زمن الميغا إمبريالية» للمهدي المنجرة، بتاريخ: ١ ديسمبر ٢٠١٦، مجلة أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، تم الدخول: ٢٢/ ٤/ ٢٠١٩. https://www.anfasse.org

لن يبقى كذلك. صحيح أن الشعوب العربية تتحرك بطريقة خاصة، وأنه ليست هناك قواعد تجعل أي متتبع يجزم بأن أمرًا ما سيقع، إلا أن ما أود أن أؤكد عليه هو أن الأشياء لن تبقى على ما هي عليه حاليًا أكثر من سنة، أو سنتين، أو خمس سنوات على الأكثر، حيث سنرى تغييرات جذرية تحدث[١].

بالتالي تكون الفئة المنوط بها امتلاك هذه الرؤية العربية الواعية هي النخبة المثقفة الواعية، والفاعلة، والمؤثرة في تغيير مجرى حياة الشعوب والعالم أجمع من جهة، دون الاستغناء عن المواطن العادي الواعي من جهة أخرى.

٣- الربط بين الرؤية والتخطيط الاستراتيجي للمستقبل واستشرافه: في محاولة ربط المنجرة الرؤية بالاستراتيجية يكون هذا إذعانًا منه بضرورة التخطيط للمستقبل، ولكن كيف؟ والسؤال بطريقة أخرى: إذا أردنا حقًا تغيير مسار عالمنا العربي والإسلامي المعاصر؛ فماذا ينبغي علينا أن نفعل؟ كما أوضح المهدي المنجرة من خلال مفهوم «استعمار المستقبل[٢]» مُنذرًا: «إنّ العالم الإسلامي إذا لم يخطِّط لمستقبله، فإنه يوشك أن يُستعمر بدوره، كما استُعمر ماضيه وحاضره»[٣].

نستشف من قول المنجرة ضرورة التخطيط لمستقبل عالمنا، فبعد الإقرار بالمشكلة، تأتي مرحلة التخطيط الجاد والهادف؛ لأنه من دون تخطيط سوف نتخبط في عشوائية منقطعة النظير.

---

(١) عبد الحكيم الزاوي: مرجع سابق.

(٢) إنني أفضل استعمال مصطلح احتلال المستقبل على مصطلح استعمار المستقبل؛ لأن الاستعمار لغةً يعني: طلب الإعمار أو العمران. استعمره في المكان؛ أي جعله يعمره، واستعمر الأرض: عمّرها، أي أمدها بما تحتاج إليه من الأيدي العاملة لتصلح وتعمُر... بهذا فإن كلمة استعمار لا تعبِّر إلا عن معنى طيب في منتهى الرُّقيّ، يتنافى تمامًا مع المعنى البغيض الذي نقصده للدلالة على الاغتصاب أو الاستيلاء على الأرض بالقوة. وعلى النقيض من ذلك، نجد معنى كلمة (احتلال) هو: استيلاء دولةٍ ما على أراضي دولة أخرى أو جزءٍ منها قهرًا أو بالقوة؛ لذا فهو -باللغة والمنطق- اللفظ المناسب للتعبير عن هذه الحالة، ومن ثَمَّ يكون المقصود باستعمار مستقبل العالم الإسلامي؛ أي احتلاله من قبل العالم الغربي.
انظر: محمد نبيل: قل احتلال! ولا تقل استعمار، مدونات الجزيرة، بتاريخ: ٢٤/ ٥/ ٢٠١٧. تم الدخول: ٢/ ٤/ ٢٠١٩. https://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/5/24/

(٣) *Mahdi Elmandjra (1992): Première guerre civilisationnelle, Casablanca: Editions Toubkal, p. 176.*

هكذا يُستشفُّ من هذه الأحاديث أن نحسب للمستقبل حسابه في كل أمورنا الدينية والدنيوية، ويستحيل تمامًا أن ننزع عن الإسلام هذا الاعتبار المستقبلي العميق، وفي ذلك يقول المهدي المنجرة: «إن الإسلام -باعتباره دينًا واجتماعًا- هو قبل كل شيءٍ نظر إلى الأفق البعيد، في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة... وكيفما كان الفعل الإنساني عليه -على المستوى الديني والاجتماعي- أن يستهدي بنتائجه الدنيوية والأخروية. وبهذا كان اعتبار المستقبل جزءًا من العمل اليومي للمسلم»[١].

٣- التمسك بقيمنا الأخلاقية والعلمية الأصيلة: بحيث لا ينبغي القطيعة مع تراثنا العربي الأصيل وما به من قيم ديننا الإسلامي الحنيف، في الوقت الذي يجب علينا ألا ننصهر في بوتقة العولمة الزائفة، وفي هذا الصدد يقول المهدي المنجرة: «إنه تحت ذريعة الانفتاح على الآخر فقدنا قيمنا الثقافية وذاكرتنا التاريخية وماضينا... إذا أردنا أن نتقدم خطوة إلى الأمام ويتحقق لدينا الإقلاع الحضاري الشامل، وجب علينا أن نحمي هذه القيم ونحافظ على لغتنا الأصلية ونوظفها للغرض نفسه. وأعطى مثالًا حيًا لذلك، وهو النموذج الآسيوي الذي أدرك أهمية القيم الثقافية؛ فحافظ عليها وأصبح التعليم العلمي والتقني والجامعي عندها يتم باللغات المحلية»[٢].

يتناسى دعاة هذا الطرح أن الجمود والتخلف الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي هو الذي أدى بنا إلى فقدان قيمنا، وفقدان عناصر الهوية الثقافية كافة وليس الانفتاح سبب ذلك. هذا الأخير، إن أعتُبِرَ خيارًا حقيقيًا لن يؤدي يومًا إلى ما يدعيه هذا التيار[٣].

ليس هذا فحسب، بل يتعين اعتماد تلك الرؤية، فنحن لدينا أزمة رؤية في الأخلاق، وهي أكبر أزمة يعرفها العالم الإسلامي؛ فالحركات الكبرى في العالم بدأت برؤية، ودون هذه الأخيرة لا يمكنك أن تبني استراتيجية، ومن دون استراتيجية لا يمكنك أن تبني سياسة، ومن دون سياسة لا يمكنك أن تتقدم في أي ميدان من ميادين الحياة. إن الشرط الأساسي

(١) نقلاً عن: إلياس بلكا: التأصيل لاستشراف المستقبل من منظور إسلامي، بحث في مجلة: عزمي بشارة (المحرر): استشراف للدراسات المستقبلية، قطر، الدوحة، ٢٠١٦، ص١٤٩.

انظر: *Elmandjra, Première guerre, pp. 168-169.*

(٢) المهدي المنجرة: قيمة القيم، ص٦٥.

(٣) المرجع نفسه.

للوعي بقيمة الرؤية هو الديمقراطية التي تهيئ السبيل لكي يعبِّر كل فرد في المجتمع عن ذاته، حتى يبلغ مستوى المشاركة، ويصبح جزءًا من صناعة القرار[١].

أما عن سبب هذه الأزمة فيقول المهدي المنجرة: «إننا نعيش أزمة أخلاقية حقيقية تضاعف من الآثار السيئة لكل أنواع الذل، وهي ناجمة عن الفقر، والأمية، والمرض، وغياب العدالة الاجتماعية الكاملة، وخرق حقوق الإنسان، وحين تبلغ هذه العوامل جميعها الحد الخطر؛ فإن مظاهرها تتجلى للعيان ويختل الاشتغال الاجتماعي وتكثر الانفجارات...»[٢].

كما لا يعني هذا أن المنجرة يريد القطيعة مع الآخر أو أنه يرفض التواصل الحضاري، لا بل يؤكد على التواصل ولكن بشروط وذلك في قوله: «ومن أجل ذلك، فإنني عندما أتحدث عن التواصل مع الغرب أو مع غيره من الحضارات، فإن هذا التواصل مشروط بفكرة «البَلْدِي» [التقليدي]؛ أي احترمك وتحترمني، وأقدرك وتقدرني؛ على مستوى قيمي، وعلى مستوى أفكاري، وعلى مستوى عاداتي، وعلى مستوى عقيدتي، وعلى مستوى ثقافتي...». ويقول المنجرة في موضع آخر: «إن التنوع الثقافي سواء على المستوى الوطني أو الدولي سيبقى إحدى الحاجات النفسية والروحية الأكثر أولوية»[٣].

لذلك يدعو المنجرة إلى مبدأ تعدد القيم الثقافية والحضارية، والتي من المفروض أن تحكم أنساق القيم ومنظومة القانون الدولي، عوض إنشائها على لبرلة سياسة القوة وخوصصة العلاقات بين الدول والشعوب والثقافات، فالشمال لا يمكنه أن يستمر في الحياة بتحقيق تواصل مادي فقط بالآلات والبضائع والكلام السياسي الفارغ، وإنما يجب أن يشارك في مشروع تواصل ثقافي وحضاري مبني على احترام القيم الإنسانية[٤].

اشترط على هذا الاحترام المتبادل المساواة في الحقوق والواجبات بين الشعوب بقوله: «في اليوم الذي ستتساوى فيه حياة أمريكي وحياة إسرائيلي مع حياة أي مواطن من ساكني العالم الثالث بصفة عامة، وحياة عربي ومسلم بصفة خاصة؛ سنقترب حتمًا من هذه

(١) المهدي المنجرة: عولمة العولمة، بتصرف.

(٢) المهدي المنجرة: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، المغرب، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص١٠.

(٣) المهدي المنجرة: عولمة العولمة، بتصرف.

(٤) لحلو بوخاري: مرجع سابق.

الكونية التي يتبجحون بها؛ لكن الاعتداءات الوحشية الإسرائيلية تبين المسافة البعيدة التي تفصلنا عنها[١].

٤- ضرورة الحفاظ على اللغة العربية الفصحى وعدم التفريط فيها؛ لأن الحضارات تُؤتَى من لغتها في بادئ الأمر، ليس هذا فحسب، بل وعلينا أن نوظِّف لغتنا في ما يحقق نهضتنا وتقدمنا، وفي ذلك يؤكد المنجرة أنه: «لا توجد أي دولة في العالم انطلقت في المجال التكنولوجي دون الاعتماد على اللغة الأم»[٢].

في هذا السياق يتفق المنجرة مع «مصطفى صادق الرافعي» حين ذهب الأخير إلى أن لغة الأمة كانت الهدف الأول للمستعمرين؛ فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته... وما ذلَّت لغة شعب إلا ذلَّ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا المنطلق يفرض المستعمر الأجنبي لغته فرضًا على الأمة المستعمرَة،... ويحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد؛ أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبدًا، وأما الثاني فالحكم على ماضيه بالقتل محوًا ونسيانًا، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم بالأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعده لأمره تبع[٣].

٥- الاهتمام بالعلم، والمعرفة، والإبداع، والتجديد؛ لأنهم سبيل التقدم وفي ذلك يقول المنجرة: «يجب التفكير في إحداث ما يشبه الحد الأدنى للأجور بميدان المعرفة، دون أن يكون له طابع إلزامي، وذلك بضمان بلوغ حد أدنى من المعرفة داخل البلد الواحد، وينبغي أن تكون هذه المعرفة متطورة بالقدر الكافي»[٤]. ويعضد ذلك بقوله: «إن التحام العلم والثقافة هو السبيل الوحيد الذي يقدم ضمانًا للبقاء بكرامة، وليس بأي ثمن يحدده آخرون. إنه الكيفية لإعادة اكتشاف الانسجام داخل النظام والفوضى سواء في الميدان الفيزيائي أم الروحي. إنه ليس فقط مفتاح القرن الحادي والعشرين، بل هو أيضًا سلام الإنسان مع نفسه وبيئته»[٥].

(١) المهدي المنجرة: قيمة القيم، ص٦٥.

(٢) المرجع نفسه، بتصرف.

(٣) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، راجعه، درويش الجويدي، الجزء الثالث، بيروت المكتبة العصرية، ٢٠٠٢، ص٢٩.

(٤) المهدي المنجرة: قيمة القيم، ص٦٧.

(٥) المهدي المنجرة: الالتحام بين العلم والثقافة؛ مفتاح القرن الواحد والعشرين، الثقافة والمثقف في الوطن العربي، ص١٥٩.

علاوة على ذلك يخرج المنجرة من سعيه للاهتمام بالتعاليم بحقيقة مفادها أنه في المدرسة أو الجامعة نتعلم الدروس ثم نواجه الامتحانات، أما في الحياة فإننا نواجه الامتحانات ثم نتعلم منها الدروس.

٦- التنمية المحلية والإقليمية هي سبيل الخروج من مأزق العولمة أو الهيمنة الأمريكية من رأي المنجرة وذلك يتمثل في أن: فكره يتمحور حول تحرُّر الجنوب من هيمنة الشمال عن طريق التنمية؛ وذلك من خلال محاربة الأمية، ودعم البحث العلمي، واستعمال اللغة الأم، إلى جانب دفاعه عن قضايا الشعوب المقهورة وحرياتها، ومناهضته للصهيونية ورفضه للتطبيع، وسخر المنجرة كتاباته ضد ما أسماه بـ«العولمة الجشعة»[١].

ليس هذا فحسب، بل يؤكد المنجرة أن الخلاصة التي خرجنا بها آنذاك كانت تخالف تمامًا ما كان سائدًا حينها، حيث كانت فكرة النمو تُرى على أنها أساس التقدم. أول تقرير أصدرناه في نادي روما كان هو «*Pas de limites à la croissance*» أي لا حدود للتنمية/ النمو، وكتبنا بأن التنمية، كما كانت تُرَى حينها، غير ذات قيمة دون اعتبار للموارد البشرية، والعنصر البشري، والإنسان كهدف ووسيلة لتقدم المجتمع[٢].

٧- العمل على وحدة الصف وتلاحم الأمة الإسلامية وممارستها لحريتها وحقوقها، وقد لخص ذلك الدكتور المنجرة في قوله: «نحن لن نهزم إسرائيل إلا بالتوحيد وتلاحم القيادة والشارع العربيين عبر مصداقية السلطة المخلصة لشعوبها وليس لمستعمريها، عبر المشاركة الشعبية والديمقراطية الفعالة، عبر انتخابات نزيهة واحترام القيم والحريات والتمسك بالهوية، عبر الاهتمام بالعنصر البشري والبحث العلمي، وتشجيع الإبداع والخلق، والاعتماد على الذات والكفاءات المحلية لكن للأسف هذه المؤشرات ما تزال ضعيفة ولم تكتمل ملامحها بالمجتمع العربي الحالي الآن»[٣]. نتفق مع كل ما قاله المنجرة في هذا الشأن؛ فلا تقدم للأمام إلا بوحدة صف الأمة الإسلامية والعربية.

(١) مراجعة كتاب: عولمة العولمة: من أجل التنوع الحضاري.

(٢) الدكتور المهدي المنجرة لـ«هسبريس»: الديمقراطية ممكنة بحزبين فقط، أجرى الحوار: هشام منصوري، مجلة هسبريس بتاريخ: ١٩ فبراير ٢٠٠٩، تم الدخول: ٢٤/ ٤/ ٢٠١٩.
https://www.hespress.com/interviews/11184.html

(٣) راجع: المهدي المنجرة: حول القضية الفلسطينية، ٢٠٠١.

٨- الدفاع عن الكرامة الإنسانية بكل ما أوتينا من قوة، ولكن كيف؟ يرى المنجرة: «إن انصهار العلم والثقافة هو السبيل الوحيد الذي يقدم ضمانًا للبقاء بكرامة، وليس بأي ثمن يحدده آخرون»[١]. وكمثال للكرامة العربية والإسلامية بالنسبة للقضية الفلسطينية يقول الدكتور المهدي المنجرة: «القضية الفلسطينية لا تهم الفلسطينيين وحدهم، فباعتباري مغربيًا، وعربيًا، ومسلمًا، وأفريقيًا، بل باعتباري فقط كائنًا إنسانيًا لن أعتبر نفسي أبدًا حرًا مادامت فلسطين محتلة، ومادام هؤلاء الناس لم يسترجعوا كرامتهم»[٢].

٩- أكد الدكتور المنجرة على أهمية دور الإعلام في ما يتعلق بالخلق والإبداع كسبيل للانتقال نحو مجتمع المعرفة. ويحتل الإعلام مكانًا جوهريًا لأنه كلما ظهرت جريدة أو مجلة أو كتاب أو شكل جديد للتعبير كيفما كان فمن شأنه أن يسهم في توسيع مجال الاختيارات وتعدد الرؤى المتوفرة لعموم الناس[٣].

١٠- عدم إغفال دور الشباب الحيوي والجوهري، لذلك عليهم الاهتمام بالمعرفة، والبحث العلمي، والدفاع عن الكرامة الإنسانية، ومحاربة الإهانة، والحرص على التواصل الثقافي والحضاري وذلك للعمل من أجل المستقبل[٤].

خلاصة القول: ينبغي التأكيد على بناء الإنسان أولًا قبل بناء البنيان، ومن أقوال المفكر والدكتور المهدي المنجرة التي بقيت عالقة في أذهان الكثيرين بخصوص هذا الأمر قوله: **«عندما أراد الصينيون القدامى أن يعيشوا في أمان، بنوا سور الصين العظيم واعتقدوا بأنه لا يوجد من يستطيع تسلقه لشدة علوه، ولكن! خلال المائة سنة الأولى بعد بناء السور تعرضت الصين للغزو ثلاث مرات! وفي كل مرة لم تكن جحافل العدو البربة في حاجة إلى اختراق السور أو تسلقه! بل كانوا في كل مرة يدفعون للحارس الرشوة ثم يدخلون عبر الباب. لقد انشغل الصينيون ببناء السور ونسوا بناء الحارس!** فبناء الإنسان يأتي قبل بناء كل شيء، وهذا ما يحتاجه طلابنا اليوم... يقول أحد المستشرقين: «إذا أردت أن تهدم حضارة أمة فهناك وسائل ثلاث هي:

(١) المهدي المنجرة: انصهار العلم والثقافة مفتاح القرن الحادي والعشرين، ترجمة: محمد بريش، مجلة القدس، العدد: ٣١، أبريل ١٩٩٥، ص٢٠.

(٢) المهدي المنجرة: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، ص٣٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١٩.

(٤) المهدي المنجرة: الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، ص٥.

١- هدم الأسرة.

٢- هدم التعليم.

٣- إسقاط القدوات والمرجعيات.

لكي تهدم الأسرة: عليك بتغييب دور (الأم) اجعلها تخجل من وصفها بـ«ربة بيت»، ولكي تهدم التعليم: عليك بـ(المعلم) لا تجعل له أهمية في المجتمع وقلِّل من مكانته حتى يحتقره طلابه، ولكي تسقط القُدوات عليك بـ(العلماء)؛ اطعن فيهم وشكِّك، قلِّل من شأنهم حتى لا يُسمع لهم ولا يقتدي بهم أحد؛ فإذا اختفت (الأم الواعية) واختفى (المعلم المخلص) وسقطت (القدوة والمرجعية) فمن يربي النشء على القيم؟!»[١].

إن كل هذا يوضح أن المنجرة لم يتقوقع حول مشكلات المغرب العربي فحسب، بل تخطاها ليعيش مشكلات العالم العربي بأسره؛ حياةً وفكرًا، كتابةً وتصريحًا، قولًا وفعلًا، لذا يوصف بحق أنه مفكر عاش هموم وطنه، وأمته، وقارته، بل حمل على عاتقه هموم العالم بأسره.

وأخيرًا وليس آخرًا، فإذا كان المنجرة نعى قاسم الزهيري بهذه الكلمات إلا أنه لا مندوحة لنا عن أن ننعيه بكلماته نفسه التي قال فيها: «وهذه الكلمات موجهة لتخفيف الآلام التي أشعر بها بسبب خسارة رجل أعطى الكثير وحصل على القليل. وهذه هي خصال الرجال العظام، الذين لا يتركون على هذه الأرض إلا «الأمور اللامادية» التي تدوم مثل: أفكارهم، وكتاباتهم، ونزاهتهم، وذكريات عن خصالهم الإنسانية... لقد انطفأ قلم لا يضاهى، لكن حبره لن ينمحي مثل الذكرى التي يتركها صاحبه. رحمك الله يا سي قاسم»[٢]. ونحن نقول رحمك الله يا سي المنجرة!

(١) المهدي المنجرة: محاضرة الدكتور المهدي المنجرة: الدراسات المستقبلية، مكناس، ١٩٩٣.

(٢) المهدي المنجرة: قاسم الزهيري: انطفاء قلم، مجلة مدارات القدس، السنة السادسة عشرة، العدد ٤٦٧٧، الاثنين ٧ يونيو ٢٠٠٤، ص١٨.